

المشروع القومي للترجمة

ماكس فريش

بيدرمين

ومشعلو الحرائق

مسرحية

ترجمة وتقديم:

دكتور مصطفى ماهر



١٩٩٧

ييدر مــــــن
ومشعلو الحرائق

المشروع القومي للترجمة

ماكس فريش

ليذر من

ومشعلو الحرائق

مسرحية

ترجمة وتقديم :

دكتور مصطفى ماهر



١٩٩٧

هذه ترجمة كاملة لمسرحية

Biedermann und die Brandstifter

Max Frisch

مقدمة

أولاً:

بدأ اهتمامى بنقل أعمال مختارة من الأدب السويسرى المعاصر حول عام ١٩٦٠ وتركز حول أدبيين خاصة هما فريدريش دورينمات Friedrich Durrenmatt وماكس فريش Max Frisch رأيت ، كما رأى كثرة النقاد وعلماء الأدب أنهما يمثلان الأدب السويسرى الألمانى المعاصر ، ويمثلان جانباً هاماً من الأدب الألمانى منذ الحرب العالمية الثانية ، ويقدمان إلى الأدب الإنسانى العديد من الأعمال المتميزة . وينبغى أن ننوه هنا بالدور الكبير الذى لعبه فى التعريف بهما ، وفى ارتياد مجالات واسعة من التفاعل الثقافى مع أدب العالم رواد من أمثال أ.د . عبد الرحمن بدوى ، الذى فتح أمام طلاب الثقافة الرفيعة طوال نصف قرن أو يزيد أفقاً بعد أفق ، وفضله أكبر من أن نوفيّه حقه

بكلمات عابرة ، ولعل المؤسسة الثقافية الرسمية فى وطننا تذكر هذا الرجل
فتقدم إليه باقة الزهور التى تليق به .

أياً كان الأمر فقد نقلتُ فى مطلع الستينيات « زيارة السيدة العجوز »
لفريدريش دورينمات إلى العربية ، وظهرت الترجمة مطبوعة فى عام ١٩٦٢ ،
ثم عُرضت على مسرح دار الأوبرا فى إخراج رائع من إبداع المخرج العبقري
سمير العصفورى وبمشاركة من باقة من نجوم المسرح العظيم من أمثال زوزو
نبيل وعبد الله غيث وحسن البارودى وصلاح منصور ، ودخلت المسرحية
بمرور الوقت معين الثقافة واندمجت فى الوجدان الفنى فى عالمنا الثقافى
وبخاصة بعد أن شد فيلم « الزيارة » طبقات واسعة من الجمهور من مشاهدى
السينما ، واقتبس منها الكتاب للمسرح والسينما وغيرهما ما شاء لهم الاقتباس
وظهرت ترجمات أخرى للمسرحية نفسها ، وترجمات مسرحيات أخرى بأقلام
منوعة لكل منها أسلوبه ومنهاجه ، وكان ما عشناه مع هذه الترجمات موجة
من موجات الترجمة التى تحدثت عنها فى مقالى عن الترجمة فى عام ١٩٧٣
ولم يقتصر استقبال دورينمات فى مصر على هذه الترجمات وما تصدرت به من
مقدمات أو دراسات ، وعلى الاقتباسات ، بل كان طلاب الأقسام المختصة باللغة
والأدب الألمانى فى الجامعات يطالعون أعمالاً لدورينمات فى أصلها الألمانى
ويتناولونها بالدرس ، كذلك كانت فرق المسرح المعروفة وفرق الهواة تقدم
أعمال دورينمات مترجمة ، وكانت بعض المدارس وبخاصة الألمانية تعرض هذه
أو تلك المسرحية فى نصها الألمانى ، ولا نغفلن عن دور أكاديمية الفنون
ومعهد المسرح بها خاصة وكان الباحثون على مستوى الدراسات العليا وبحوث

الترقى يكتبون عنها ، مثلما فعل الدكتور محمد عبد السلام يوسف فى رسالتي
الدكتوراه والماجستير تحت إشرافى .

ثم قدمتُ فى عام ١٩٧٠ ترجمة لعمل ثان من أعمال دورينمات ، هو
«النيزك» شرفنى بمراجعته صديقى الأستاذ الدكتور عبد الغفار مكاوى ، ولم
يتح لهذه المسرحية من الانتشار سواء فى العالم أو لدينا ما أتيج لزيارة السيدة
العجوز ، ولكن اهتمامنا بدورينمات كان كبيراً ، ما فى ذلك شك ، وشارك
فيه مترجمون ونقاد عظام ، على رأسهم الأستاذ أنيس منصور الذى ترجم
العديد من أعمال دورينمات ، وأتاح لها الخروج على خشبة المسرح ، ثم زارنا
فريدريش دورينمات فى مصر فى ديسمبر من عام ١٩٨٥ بدعوة من الدكتور
مدوح البلتاجى ، آنذاك رئيس هيئة الاستعلامات ، ونشرتُ بهذه المناسبة كتاباً
تسجيلياً يضم دراسات ونصوصاً مترجمة ، **« اللقاء دورينمات فى مصر »**
(١٩٨٨) وعقدتُ فى صالونى الأدبى جلسة طويلة مع دورينمات حضرها
يحيى حقى وصلاح جاهين وجلال العشرى ، وأ.د . عماد فضلى وأ.د عبد
الرحيم عبد الله وغيرهم من الأدباء والنقاد والمفكرين ، وأحدث هذا اللقاء
الشخصى أيضاً أثره .

وهذا الذى حدث مع دورينمات تكرر بالنسبة إلى ماكس فريش مع بعض
الاختلافات ، فهو لم يلق من سعة الانتشار فى مصر ما لقيه دورينمات ، ولكن
المهتمين بالثقافة الرفيعة نقلوا باقة مختارة من أعماله أذكر منها **«سور الصين»**
من ترجمة سمير التندواى ومراجعة عبد الرحمن بدوى ، ونشرتُ له فى عام
١٩٧٤ ترجمة لمسرحية **« قصة حياة »** شرفنى بمراجعتها صديقى أ.د .

محمود فهمى حجازى ، وزارنا فريش فى مصر فى عام ١٩٨٥ ، ولا زلت أذكر ما دار بينى وبينه من حديث عن مشكلة الهوية الثقافية التى اتخذت فى زماننا الحاضر صورة ديناميكية ، وأصبح الإنسان يبحث بحثاً مستمراً لا ينقطع عن هويته هذه المتغيرة ليكون على بينة منها على كل حال . وكان أحد الصحفيين الكبار حاضراً فنشر فى صحيفته فى اليوم التالى نقداً عنيفاً لرأى .

وإذا كنت أخرج اليوم هذه الترجمة من أوراقى القديمة لتظهر فى كتاب ، فإننى أتصورها مشاركة متجددة فى استقبال آثار هذا الأديب واستقبال الأدب السويسرى الألمانى بصفة عامة ، وفى تقديرى أن الأدباء السويسريين فى عصرنا الحاضر يكتبون من موقف خاص هم على وعى به ، وهو أنهم يعيشون فى مكان محدود ضيق قد يتصورونه على هيئة الجزيرة أو الحى المقفول أو الزنزانة ، على ما فيه من جمال وثناء وحرية وقدرة كاملة على الدخول والخروج ، فهم على قلة عددهم لهم ثقافة يتمسكون بها ، ولكنها تنتمى إلى عالم الثقافة الألمانية الواسع ، وهم ينظرون من نافذتهم الضيقة إلى عالم فسيح يكتبون له الأدب أو ينشئون له الفنون ، ولهذا نجد دورينمات وفريش على ما بينهما من اختلاف يكتبان أدباً عالمياً ، أعنى أدباً للعالم ، وهذا يعنى أن الأديب السويسرى المعاصر يسعى بصفة مبدئية أساسية إلى إقامة العلاقة بين عالمه المحلى الصغير أشد الصغر وبين عالم الكون الواسع ، فقد يصف إنساناً يلوح لك كأنه يعانى من مشكلة نفسية أو مشكلة اجتماعية تمس كيانه الفردى ، فإذا تعمقت الدرس وجدت هذا الفرد أقرب ما يكون إلى خيط فى نسيج العالم كله يتصل به مروراً بخليته الاجتماعية الأسرية أو المهنية أو الطائفية ثم بمجتمعه الكبير ،

فهو يعانى مما يعانى منه العالم من مشكلات فلسفية وأخلاقية وعقائدية وسياسية ، وهأنذا تدرك أن هذا الذى يصفه يعنيك ، ويحرك قلبك وفكرك ، فإذا كان الكون كله يعيش اليوم فى خوفٍ عامٍ من فناء البيئة ومن مخاطر الطاقة ومخلفات الحضارة ومن الحرب ومن التسليح ، فالفرد الخائف الذى نلتقى به فى أعمال دورينمات وفريش وموشج وفوجت وغيرهم ليس خائفا لأسباب نفسية محدودة بذاته ، ولكنه يعانى من خوف يتنزل عليه من المجتمع ومن المحيط الثقافى الذى يضم هذا المجتمع بين جناحيه ومن المحيط الأوسع الذى هو الكون قاطبة .

ولهذا فقضايا القهر والحرب والحضارة والبيئة والحرية والاستغلال والهوية من القضايا التى يهتم بها الكتاب السويسريون ، ولهم فى معالجتها منظور يقوم على الجمع بين الفرد فى عالمه الصغير والإنسانية فى عالمها الكبير ، ومن الخير أن تطرح القضايا من هذا المنظور أيضا ففى ذلك ثراء لا مرأى فيه فى خبراتنا بأنفسنا وبالغير .

كلمات عن حياة ماكس فريش :

(١٩١١ - ١٩٩١)

لدينا سيرة ذاتية موجزة كتبها ماكس فريش فى عام ١٩٤٨ أعيد ترجمتها هنا ، مع تصحيح وشرح ، فما زلت أرى من الخير أن نستعين بها ، وأن نبنى عليها عندما نتحدث عن حياة هذا الكاتب ، يقول : « ولدت فى عام ١٩١١ فى زيوريخ ، وليس اسم عائلتنا سويسرى الأصل ، فقد جلبه جدى من المنطقة النمساوية المجاورة عندما نزع منها فى صدر شبابه ليقيم فى سويسرا . وكان

جدى هذا يحترف صناعة السروج : ويبدو أن المقام طاب له فى زيوريخ فتزوج بواحدة من أهلها ، من أسرة رقيقة الحال تتسمى باسم نيجلى Naegli ، وكانت أسرة والدتى مختلطة الأصل ، فقد نزع جدها الأكبر واسمه فيلدرموت Wildermuth من فيتمبرج بألمانيا ، ونعرف عن ابنه ، وهو جدى المباشر ، أنه طرق سبيل الفن ، وصمم على أن يكون رساماً ، واتخذ رباط عنق ضخماً ، كان أكثر جرأة من رسومه ولوحاته ، وتزوج جدى هذا من واحدة من أهالى بازل من أسرة شولتهيس ولم تستطع جدتى طوال حياتها أن تنسى أن أسرتها كانت تمتلك عربة خاصة تجرها الجياد ؛ وعمل جدى ناظراً لمدرسة الحرف الصناعية ببلدتنا . هذا هو كل ما أعرفه عن أصلى . أما أمى فقد أحيت أن ترى الدنيا البعيدة فذهبت إلى روسيا القيصرية ، وعملت هناك مربية أطفال ، وما أكثر ما كانت أمى تحكى لنا عن روسيا القيصرية تلك وعما شاهدته فيها . أما أبى فكان يعمل فى البناء . لم يكن قد وجد إلى الالتحاق بالمدارس العليا من سبيل ، فما كان إلا ابن سروجى ، ولهذا كان أمله بطبيعة الحال أن يرى ابنه وقد حصل على الشهادات العالية . وترك أبى لكل منا أن يختار تخصصه فاختر أخى الأكبر الكيمياء التى ملأت سنوات صباه كما ملأت مطبخ بيتنا بصنوف من السحر كريهة الرائحة . فإذا حلت ساعات العصر يوم الأحد شهد أهل البيت مشهداً ألفوه فى ذلك اليوم من أيام الأسبوع ، ورأيت أنه كلما هطل المطر وحال بينى وبين ممارسة كرة القدم ، وبقيت فى البيت ، مشهداً تتضافر خيوطه على النحو التالى : كتاب الكيمياء على رف الشباك ، المعوجات تتصاعد منها الأبخرة الصفراء ، موقد بنزن ، الأنابيب التى تحاكي المعوجات الزجاجية ، وبين الفينة والفينة تدوى فرقة اصططنعها أخى أو حدثت بالرغم منه .

ولست أعرف لماذا كنت بين رفاقي جميعاً الوحيد الذى لم يقرأ روايات كارل ماي Karl May] وروايات كارل ماي (١٨٤٢ - ١٩١٢) روايات مغامرات شيقة فيها شيء من التحامل على الشرق ، تدور أحداثها فى بلاد غربية بالنسبة إلى الألمان ، منها مصر وغيرها من بلاد الشرق ، وهى - على ما فيها من عيوب - من أكثر الروايات انتشاراً بين الصبية الألمان لاتكاد تجد منهم من لم يقرأها . [بل الحقيقة أننى لم أقرأ لا هذه الروايات ولا غيرها من الكتب باستثناء « دون كيخوته » و « كوخ العم توم » وهما كتابان ملكا على نفسى على نحو لا سبيل إلى التعبير عنه بكلام ، فاكتفيت بهما ، أما ما شغفت به شغفاً عارماً لا سبيل إلى إشباع نهمه فكان كرة القدم ثم المسرح ، وتأثرت أشد التأثر بمسرحية شيللر « قطاع الطرق Die Rauber » عندما قدمت فى عرض مسرحى يبدو أنه كان ضعيفاً جداً ، ولكننى أعجبت بالمسرح إعجاباً بالغاً جعلنى لا أفهم لماذا لا يذهب الناس ، أعنى الكبار ، إلى المسرح ليقضوا فيه كل أمسياتهم ، وما الذى يمنعهم وقد توفر لهم مصروف الجيب ورفعت عنهم الواجبات المدرسية .

وما مضى شهران بعد مشاهدتى هذا العرض حتى أرسلت إلى ما كس راينهارد Max Reinhard بالمسرح الألمانى فى برلين خطاباً أنبئه فيه بمسرحيتى الأولى التى كتبتها بعنوان « شتال » ولا أذكر من هذه المسرحية إلا أن أحداثها كانت تدور بالليل على سطح عمارة عالية ، وأن أدخنة صفراء كتلك التى تتصاعد من الموجات انبعثت عالية من كل نوافذ المدينة الكبيرة ،

وأن البطل الكريم لم يجد أمامه سبيلاً إلى النجاة يجربه فألقى بنفسه من علي .
وجاءتني بطاقة بريدية عليها طابع بريد أجنبي [ألماني] تطلب مني بعبارة
موجزة مهذبة إرسال النص الذي تحدثت عنه ، وكانت هذه البطاقة أول مكتوب
تلقيته في حياتي جاء فيه اسمي مسبقاً بكلمة : السيد كنت آنذاك في
السادسة عشرة من عمري ، ولقد أحزنني أن أبي لم ير في الأمر أكثر من لعبة
من عبث الصبية ، كان قد وجد البطاقة في صندوق الخطابات فأخذها وعندما
جلسنا لتناول الغداء أبرزها ووضعها على المائدة فتناولتها ، وخرجت من الحجرة
على الفور حانقاً أظن أنني لن أعود إليها مرة أخرى وانقضت أسابيع سبعة
عاودتني فيها أكثر الآمال جرأة ، وكيف لا ، ألم يكن فريدريش شيلر
Friedrich Schiller عندما كتب مسرحيته « قطاع الطرق » في الثامنة عشرة ؟
وعاد إلى البريد بالكراسة الجميلة التي كنت قد كتبتها في غرفة منعزلة فوق
سطح البيت على آله كاتبة استأجرتها لهذا الغرض ، ووجدت مع كراستي التي
ردت إلى تقريراً تفصيلياً لم أفهم منه شيئاً ، كما وجدت دعوة إلى إرسال
أعمالي التالية ، وكانت هذه الدعوة هي الشيء الوحيد الذي واجهت به الأسرة
وهي ترمقني بابتسامة كلها إشفاق .

واكتشفت بطريق المصادفة في أحد متاجر الكتب مؤلفات هنريك إبسن
Henrik Ibsen الكاملة ، وما طالعتها حتى تبينت أنها مسرحيات تستحق
الثمن الذي دفعته فيها . وفي تلك الفترة التي سبقت تقدمي إلى امتحان
الثانوية العامة - ذلك الامتحان الذي كنت أعتبره شيئاً شكلياً تافهاً ومضحكاً
وسخيفاً على أن أتقدم إليه إرضاء لأبي - كتبت عدة أعمال ، ثلاث أو أربع

مسرحيات ، من بينها مسرحية كوميدية موضوعها الزواج ، كتبتها أنا الغر الذى لم أكن حتى ذلك الحين قد قبلت فتاة ، ومن بينها أيضا تمثيلية هزلية تهريجية من نوع الفارص تدور حول غزو القمر ، وكان الشيء الوحيد الذى اعترفت الدنيا لى به من هذه الأشياء كلها هو شهادة الثانوية العامة ، وبذلك أصبح التحاقى بالجامعة أمراً لا مفر منه ...

أتذكر سنتين عجيبتين قضيتهما قلقاً فى مدرجات الجامعة وفى ردهاتها أيضا . أحسست بالقلق وبالوحشة والاندفاع فى إصدار الأحكام وبالشك فى النفس ، وكثيراً ما اعتصرنى حب عفيف لا تعلم الحبيبة عنه شيئاً . ولجأت إلى الفلسفة الخالصة يحدونى شوق عارم صادق إلى معرفة الحقيقة ، فلم أزد عن أن اكتشفت ما فى فكرى من عجز وقصور ، وكانت مادة تخصصى التى عكفت على دراستها هى اللغة الألمانية وآدابها ، ولكننى وجدت بالجامعة محاضرات أخرى ظننتها أكثر قرباً من الواقع وأكثر اقتراباً من سبر أغواره . كان الأستاذ كليريك Cleric الذى انتحر فيما بعد ، يصور لنا الوجود الإنسانى فى صورة غريبة ، وكأنه يعكس لنا صورته مقلوبة مشوهة تشوّهاً أثماً فى مرآة مقعرة ، أما الاستاذ العجوز فولفلين Wolfflin فكان يقف رائعاً وغريباً ، بعيداً عما يخالجنا من اضطراب ، ممسكاً فى يده بعضاً من الخيزران كالرمح ، مبيناً مفاهيمه الأساسية ، عارضاً كل شيء بعبارة ناصعة كالمرمر ، كذلك استمعت إلى محاضرات فى علم اللاهوت من أفواه مشاهير الأساتذة ، فكنت تارة أختلف إلى هذه ، وتارة أخرى أختلف إلى تلك . والإنسان يفيد يقيناً من فترة القلق فائدة أكبر مما يظن عندما يكون غارقاً فيها متبرماً منها ، ولعل إحساسى

المتزايد بأن كل ما سمعته فى الجامعة يفتقر إلى نقطة التقاء مشتركة تتوسطه ،
وبأن الموضوعات الدراسية يتكدس بعضها بجانب البعض الآخر كالبضائع فى
المتاجر فى ذلك الشئ الذى يسمونه الجامعة ، كان إحساساً صادقاً ، بل لعله
كان معرفة بالحقيقة ، أياً كان الأمر فقد كان شعورى هذا علة محببة إلى
نفسى أعلل بها عجزى عن النجاح فى مجال العلم .

ولما بلغت الثانية والعشرين مات أبى . وبات على أن أبحث عن مصدر رزق
فعملت صحفياً ، وكانت مهمتى تتلخص فى أن أصف كل ما يُطلب منى
الذهاب إليه ووصفه : مواكب مهرجانات ، محاضرات عن بوذا ، صواريخ
وألعاب نارية ، حانات الدرجة السابعة ، حداثق ، مباريات سباحة ، مظاهر الربيع
فى حديقة الحيوان ، لم أرفض مما طلب منى سوى شئ واحد : هو وصف
حرق الجثث [التى كان أصحابها يوصون بحرقها بعد موتهم على نحو ما
تفعل طوائف فى الهند وغيرها] . ولقد كان هذا العمل الصحفى مدرسة
أفدت منها فائدة لا مرأى فيها . فلما تقرر إقامة مباريات بطولة العالم فى
هوكى الثلج فى براغ تقدمت للعمل مراسلاً صحفياً هناك ، وتأهبت للرحلة
بعد أن اشتريت أول حقيبة فى حياتى ، ولم يكن معى من المال سوى مائة
فرنك سويسرى . والرأى عندى أن هذه الرحلة التى كانت أول رحلة لى فى
خارج سويسرا قادتني مع كل مقال كتبته خطوة بعد خطوة إلى مدارج العالم
البعيد ، وكانت مقالاتي تنشر فى سويسرا أو فى ألمانيا .

هكذا ذهبت إلى المجر ، وهكذا تجولت فى ربوع صربيا وبوسنيا ودالماسيا ،
وسرعان ما ربطتني علاقات صداقة بعدد من النازحين الألمان ، وقضيت الصيف

كله هناك أبحر بالمركب الشراعى أياماً بطولها على الساحل [ساحل البحر الأديريتيكى] لا أحمل عبء واجب تثقل على تأديته ، حرّاً طليقاً ، أستقبل ما يأتينى به الحاضر راضياً قرير العين . هذه هى فى الحقيقة كل ذكرياتى عن سنوات شبابى .

ثم يمت بعد ذلك شطر البحر الأسود الذى طالما حدثتنا أمى عنه ، وذهبت إلى القسطنطينية حيث شاهدت المساجد وعرفت الجوع ، ووصلت بعد طول اشتياق إلى [قلعة] الأكروبوليس [التى تطل من فوق الجبل على أثينا] ، ثم تجولت فى المنطقة الوسطى من بلاد اليونان ، أسير على قدمى نهاراً ، وأنام فى العراء ليلاً ، بل قضيت الليلة ذات مرة فى معبد أثرى صغير . كان هذا الوقت بالنسبة إلى وقتاً ثرياً عامراً بالأحاسيس ، نعمت فيه بالسعادة ، لم تعكر صفوها إلا سحابة حزن على امرأة فى ريعان الشباب اختطفقتها يد المنون فجأة على غير انتظار وجاءت روايتى الأولى ثمرة هذه الفترة فكانت زاخرة بالصبا والشباب .

فلما رجعت من رحلتى إلى الوطن احتجت إلى عامين آخرين لأتبين حقيقة الصحافة الأدبية ، ولأدرك النهاية التى ينتهى إليها الإنسان إذا أمسك القلم - فى أوقات لا يكون لديه فيها ما يقوله - وكتب شيئاً ينشر على الناس لا يرجو من ورائه إلا الحصول على ما يعيش منه ، وعدت إلى الدراسة الجامعية مرة عندما بلغت الخامسة والعشرين . فقد رأت إحدى الصديقات ، عندما فكرنا فى الزواج ، أنه ينبغى على قبل ذلك أن أصبح شيئاً ، وعبرت هذه الصديقة بذلك عما كان يدور بخلدى . ومهما يكن من أمر فقد أحسست بصدمة

عندما تصورت على نحو جاد أن حياتى يمكن أن تتعرض للفشل ، وكنت فى ذلك الوقت أقرأ رواية « هاينريش الأخضر Der grüne Heinrich » [وهى الرواية التى يحكى فيها الكاتب السويسرى العظيم جوتفريد كيلر Gottfried Keller (١٨١٩ - ١٨٩٠) قصة حياته وقد حولها إلى قصة تنتهى بمأساة ، بطلها شاب تحمله أمواج حياة الفن المضطربة ، ولا يقيم لنفسه حياة منتظمة يقبلها المجتمع] . وأذهلنى هذا الكتاب بما تضمنته صفحات كثيرة فيه من عبارات بدت لى كنبوءة تصور لى مستقبل حياتى ، فلا غرابة فى أن يقوم هذا الكتاب منى مقام الأب ، بل مقام خير أب [يحض الابن على أن ينتظم فى الدراسة الجامعية ليتهاى لحياة مطمئنة] .

وهكذا قر قرارى على أن ألتحق بالجامعة مرة أخرى ، وما كان قرارى هذا ليصل إلى غايته لو لم يواكبه حظ وافر تمثل فى صديق [من أيام التلمذة] عرض علىّ أن يتولى الإنفاق على معاشى طوال أربعة أعوام ، وهكذا استطعت العودة إلى الدراسة الجامعية [فى عام ١٩٣٦] ، والتحقّت فى هذه المرة بالكلية السويسرية للهندسة ، وكنت فى البداية أحس بالبهجة كل البهجة إذ استطعت أن أقعد مقعد التعلم كل يوم عندما يسفر الصباح ، لا أحمل هم دخل شهرى لأنفق على أم وابن ، بل أعكف بدلاً من ذلك على الرياضيات العالية . ولكننى أخذت فيما بعد أحس بنوع من الألم المكبوت ، والخوف من تضييع شبابى دون أمل فى تحقيق هدف أبدا . وما لبثت علاقاتى بالناس أن تقطعت الواحدة بعد الأخرى ، ولم يكن من الممكن الجزم بأن ممارستى لمهنة المهندس المعمارى - إذا كنت سأملك مؤهلاتها وأصلح لها يوماً ما ستصح

علاقتي بالعالم ، لأن كل شيء كان كخطوط لا تزال على الورق لم يتجسم منها شيء ، ولم يكن الدافع الذى دفعنى إلى مهنة الهندسة المعمارية هذه إلا عكس ما كان علىّ أن أعكف على تعلمه فى تلك الفترة الأولى ، فما دفعنى إلى تعلمها إلا السعى إلى معرفة ما لا تظمه أوراق السعى إلى الشيء الملموس ، اليدوى ، المادى ، وبات علىّ أن أصبر وأنتظر الانتقال من مرحلة الرسم والتصميم إلى مرحلة البناء عمليا ، وبخاصة مرحلة تنفيذ تصميماتى لأتبين هل كانت انطلاقتى الثانية إلى الدراسة الجامعية خاطئة أو صائبة .

أيا كان الأمر فقد جمعت ذات يوم كل ما كنت كتبت وحزمته حزماً حزمًا وألقيت به فى النار ، وكان فيها كراسات يومياتى ، ولقد ذهبت إلى الغابة مرتين ، لأن الحزم كانت أكثر من أن أحملها جميعاً دفعة واحدة ، وما زلت أذكر أن الجو كان مطيراً ، وأن النار كانت تنطفئ المرة بعد المرة من البلب فأعيد إشعالها ، حتى أتيت على علبة عيدان الثقاب كلها ، وأخيراً تم لى ما أردت ، وآن لى أن أعود إلى البيت ، وقد غشيتى إحساس بالارتياح وشعور بالفراغ فى وقت معا ، وبقيت عامين كاملين لا أنكث الوعد الذى قطعتة على نفسى سراً ، وهو ألا أعود إلى الكتابة ، ولم أعد إلى الكتابة إلا يوم أعلنت التعبئة العامة فى البلاد ، وطلبت للخدمة العسكرية فى سلاح المدفعية ، عند ذلك أمسكت القلم وبدأت كراسة يوميات ، موقنا من أن الحرب [العالمية الثانية] ستدور علينا ، ومن أننى لن أعود إلى دارى حيا . ولا زلت أذكر ضابطا برتبة نقيب فى الجيش ، لم يحتمل شكلى ، وهو حر [فيما يحتمل وما لا يحتمل من أشكال البشر] ، قال لى فى الثالث من سبتمبر [من عام

١٩٣٩] صراحةً وفي غير موارد إنه سيرسلنى إلى الموقع المناسب عندما تبدأ الحرب ، تلك ذكرى لن أنساها ، وما أظن أن هذا [الذى كان يدبره لى] يمت بسبب إلى التضحية من أجل الوطن . وانقضت أعوام ، أدركت بعدها أن هذا الضابط الذى لم تتح له قط فرصة التصرف فى حياتى أو موتى ، لأن الحدود [السويسرية] ظلت هادئة ، مكنتنى من خبرة حاسمة . ونشرت كراسة اليوميات هذه فى عام ١٩٤٠ بعنوان «أوراق من كيس الخبز» Blatter aus dem Brotsack وهى يوميات انقطعت عنها عندما حصلت على إجازة من الجيش .

فعندما هزمت فرنسا ، وأصبحنا فى وضع الأسرى ، حصلتُ من الجيش على إجازة شخصية للتقدم إلى امتحان الدبلوم العالى للهندسة المعمارية ، واعتمدت مهندساً معمارياً [فى عام ١٩٤١] وأصبح فى مقدورى أن أكسب قوتى بالعمل فى غير أوقات الاستدعاء للخدمة العسكرية ، وقد ربا عدد الأيام التى كلفت فيها بالخدمة العسكرية فى تلك السنوات عن خمسمائة يوم ، قضيت غالبيتها فى منطقة تيسين ثم إنجادين ، وتزوجت [فى عام ١٩٤٢] بمهندسة معمارية شابة كانت تساعدنى فى العمل على منضدة الرسم ، وتعد لى طعام الغداء [هى كونستانتسه فون ماينبورج Constanze von Meyenburg وكنا قد اشتركنا معا فى بناء بيت لنا . وما مر بعض الوقت حتى صدرت روايتى « أحب ما يحرق ، أو المتعبون » J'adore ce qui me brûle oder die Schwierigen فى عام ١٩٤٣ وتلقيت رسائل قليلة تمثل صدى ظهور هذه الرواية ، أذكر من بينها رسالة قليلة السطور أرسلها إلى

كورت هيرشفيلد Kurt Hirschfeld مدير مسرح زيوريخ يحثني فيها على خوض تجربة الكتابة المسرحية ، وبدأت حياتي بصفة عامة تشهد فترة من الاطمئنان البطيء لم نكن قد ننجونا من الحرب بعد ، ولكن علامات نهاية الحرب كانت قد اتضحت ، وكانت عملية غزو سويسرا قد وُثِّت في مهدها ، تلك العملية التي ظلت طوال سنوات تتربص بنا وأثبتت الوثائق بعد ذلك أنها كانت مبيتة ومجهزا لها بدقة ، وأن موعد تنفيذها كان هو إبريل ١٩٤٣ ، أى بعد ستالنجراد ، وكان الهدف منها أن يجد قراء الصحف في ألمانيا على الأقل خبر انتصار ألماني صغير يتلهم به [بعد الهزيمة الساحقة التي منيت بها قوات هتلر في هذه الموقعة التي كانت بداية النهاية] وتغيرت النية المبيتة قبل موعدها المقرر بعشرة أيام بعد أن تمكنت الجاسوسية من الكشف عنه ، وهكذا تحققت لنا النجاة .

ثم رزقنا بطفلنا الأول ، وابتسم لنا الحظ فحصلنا في مناقصة على عملية معمارية مغرية كبيرة [مشروع بناء حمام سباحة] ، فاستطعنا أن نفتتح مكتبا هندسيا خاصا بنا ، مما أتاح لنا حرية أكبر في تنظيم ساعات عملنا ، ونشرت كتابا من النشر يحمل طابع الأحلام هو « بن أو الرحلة إلى بكين Bin oder die Reise nach Peking » في عام ١٩٤٤ كتبت بعده « سانتا كروتس Santa Cruz » وهي مسرحية من نوع الرومانسية ظلت طوال شهرين في الخريف تدخل البهجة أكثر البهجة على جمهور المسرح ، وبعد ستة شهور أخرى خرجت على الناس بمحاولة مسرحية من نوع أناشيد التآبين بعنوان « ها هم أولاء يعودون إلى الغناء Nun singen sie wieder » كتبتها في

أسابيع قلائل ، وكانت أول عمل يخرج على المسرح ، فى عيد القيامة من عام ١٩٤٥ عندما وضعت الحرب أوزارها وظن الناس أن السلام يوشك أن يشق طريقه ولعل فترة إجراء البروفات التى وجه مسارها كورت هورفيتس Kurt Horwitz باهتمام موضوعى كبير هى أجمل فترة كان يمكن للمسرح أن يتيحها لى ، لقد كانت هى اللقاء الأول مع عباراتى ينطق بها ممثلون نابضون بالحياة يجسمون الشخصيات .

أما الأسابيع الأخيرة من الحرب فقد أمضيتها فى الخدمة على الحدود السويسرية النمساوية تارة ، والحدود السويسرية الإيطالية تارة أخرى ، وقمت برحلتى الأولى فى ربوع ألمانيا التى خربتها الحرب وكتبت فى أعقابها مسرحية « سور الصين Die chinesische Mauer » وهى مسرحية هزلية من نوع الفارص داخلتها منذ ذلك الوقت وشائج تشاؤم يائس . وظهر العرض الأول أيضاً على مسرح زيوريخ فى خريف عام ١٩٤٦ .

وكنت كلما سمحت لى ظروف العمل أقوم بمزيد من الرحلات إلى البلدان المجاورة ، وكان شوقى إلى التعرف على أهل زمانى من الجيران شوقاً كبيراً بعد سنوات الحرب الخمس التى كنا إبانها سجناء فى ديارنا . والرأى عندى أن المشاهدة الشخصية ومعاينة الأشياء من الأمور البالغة الأهمية فى عالمنا هذا الذى جن بالأحكام المسبقة جنون المسحور [الذى لا يفك سحره] ، وظهر الجزء الأول من « كراسه اليوميات » التى قامت على المشاهدة الشخصية بعنوان « يوميات مع ماريون Tagebuch mit Marion » فى عام ١٩٤٧ .

وكنّا فى هذه الأثناء قد وصلنا فى استعداداتنا [فى المكتب الهندسى] إلى مرحلة البدء فى تنفيذ المشروع ، وليست ممارسة الإنسان لمهنتين ، هما الأدب والهندسة المعمارية بالشىء السهل دائماً بطبيعة الحال ، على الرغم مما يحدثه هذا الجمع من تأثيرات مباركة عامرة بالخبرة ، وليست القضية فى المقام الأول قضية الوقت ، بل القدرة ، أما التأثيرات التى أراها مباركة عامرة بالخير فهى أن هذا الجمع أتاح لى أن أعمل يومياً مع رجال لا شأن لهم بالأدب ، يدركون بين الحين والحين أننى « أقرض الشعر » ولكنهم لا ينكرون علىّ هذا العمل مادام العمل الآخر فى مجال البناء والعمارة يتم كما ينبغى . وآخر ما كتبت من أدب مسرحية يدور موضوعها حول برلين هى مسرحية « عندما انتهت الحرب Als der Krieg zu Ende war » وهى الآن فى أيدي الأصدقاء»

هذه السيرة الذاتية الموجزة التى كتبها ماكس فريش فى عام ١٩٤٨ تحتاج إلى الإكمال على الأقل لنصل بها إلى نهايتها ، نراه فى عام ١٩٥١ يحصل على جائزة كونراد فرديناند ماير السويسرية ، وعلى منحة أمريكية تتيح له جولات فى ربوع الولايات المتحدة الإمبريكية وزيارة المكسيك . وتتابع أعماله الأدبية فنجده ينشر مسرحية « جراف أودرلاند Graf Oderland » فى عام ١٩٥١ ، وخرج على الناس فى عام ١٩٥٣ بعملين هما مسرحية « دون جوان أو حب الهندسة Don Juan oder die Liebe zur Geometrie » ومسرحية « بيدرمن ومشعلو الحرائق Biedermann und die Brandstifter » التى أرادها فى البداية تمثيلية إذاعية ثم حولها إلى مسرحية بعد ذلك ، وفى

عام ١٩٥٥ اتخذ قراره بإغلاق المكتب الهندسى ليعيش من الأدب وللأدب .
يلفت النظر فى حياة ماكس فريش أنه أديب يحب المشاهدة والترحال ،
وقد تتكرر رحلاته فيزور بلاد أوروبا الشرقية مراراً ويزور أمريكا كثيراً ، وقد تطول
رحلاته فيقيم سنوات خمساً فى روما بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٥ ، وتراه بعد
طول إقامة فى مسقط رأسه زيوريخ ينزح عنها ويقيم فى بيرتسونا بمنطقة تيسين
أما زوجته المهندسة فقد انفصل عنها عندما ترك المكتب الهندسى وارتبط
بعلاقة وثيقة بالأديبة والشاعرة النمساوية إنجبورج باخمن Ingborg Bach-
mann من عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٦٢ ، ثم تزوج فى عام ١٩٦٨ زوجته
الثانية ماريانه أولرس Marianne Oellers التى انفصل عنها فى عام ١٩٧٩ ،
وتوفى فى زيوريخ فى إبريل من عام ١٩٩١ وقد قارب الثمانين .

آثاره :

صدرت الطبعة الكاملة فى ٧ مجلدات من عام ١٩٨٦ إلى عام ١٩٨٥
ضمت أكثر النشريات التى كانت قد صدرت حتى ذلك الحين . وماكس
فريش فى نظر الكثيرين كاتب مسرحى وكاتب رواية وقصة ، ولكن كتاباته التى
شمل بها اليوميات والمقال الصحفى والمقال الأدبى والتمثيلية الإذاعية
والتليفزيونية بالغة الأهمية .

ومن يتناول ماكس فريش بالدرس المدقق يجده كثيراً ما يتناول أعماله
بالتحوير وبالصياغات الجديدة مما يطرح المزيد من الأسئلة عن هذا القلق الفكرى
والفنى فأكثر المبدعين يرفعون أيديهم عن الأعمال التى يتمونها ويتركونها تعبر

عن لحظة نشأتها ، ولكن من المبدعين أيضا من يظلون مشغولين بالعمل بعد خروجه إلى الناس ، لا يكفون عن تحويره ، وماكس فريش من هذه الطائفة الثانية .

ونظرة سريعة إلى موضوعاته تبين لنا أنه كان في البداية مشغولا بموضوعات مباشرة مثل الحرب والسلام ، وموضوعات من حياته ومشاهداته ثم بدأ في مراحل النضج يخرج إلى الإطار العالمى الكونى الذى أشرنا إليه في صدر هذا الحديث . كتب عن الحرب العديد من المسرحيات المباشرة نذكر منها « هاهم أولاء يعودون إلى الغناء » التى ظهرت فى عام ١٩٤٦ ، وكان للكتاب والقراء الألمان فيها سلوان ، فقد انقلب عصر النازية ، وبدأ عصر ما بعد الحرب ، وكانوا يتلمسون علامات الطريق ، وينصتون إلى أصوات العائدين كما ينصتون إلى أصوات المتعاطفين .

وقد نطن عندما نقرأ قصة حياة ماكس فريش عن دخوله عالم المسرح أنه شق طريقه معتمداً على عبقريته الخلاقة الفذة دون تأثر بأصحاب النظريات المعاصرين والحقيقة أنه تأثر بهم على نحو أو آخر متفقا ومعارضاً ومجدداً ، وليس تأثره بيرت بريشت Bert Brecht موضع شك ، على الرغم من أنه لم يذكر فى سيرته المختصرة لقاءه به فى زيوريخ بين عامى ٤٧ و ١٩٤٨ ، وعلينا أن نقلب فى يومياته التى سجلها آنذاك لتكشف عن جوانب هذا التأثير . ونلاحظ التشابه فى التقنية المسرحية وفى المفاهيم الاستطبيقية المتداخلة مع المفاهيم التعليمية والتنويرية والنقدية فى العديد من الأعمال وبخاصة فى بيدرمن ولكن ماكس فريش كان أبعد ما يكون عن التفوق فى داخل قالب إيديولوجى ، بل كان منفتحاً على الدنيا والناس ، على البعيد والآخرين ، لا يفتأ يجدد خبراته ، ويكتب مغترفاً من معين متجدد .

هكذا تراه قد تأثر أشد التأثير بجولاته فى الولايات المتحدة على نحو ما نرى فى رواية شتيللر Stiller (١٩٥٤) وقصة هومو فابر Homo Faber (١٩٥٧) وكانت هذه الأعمال تشهد على الانطلاق بعيدا عن الحيز المحلى الضيق ، والاقتراب المتزايد من موضوعات لها صفة العمومية نذكر مسرحية أندورا Andorra التى حققت نجاحاً كبيراً فى عام ١٩٦١ وهى تعالج موضوعات التسامح وترفض التمييز القائم على العنصر والدين ، وتتمثل خاصة بما جرى على اليهود . من أعماله التى تتناول موضوع الهوية نذكر مسرحية قصة حياة Biografie (١٩٦٧) ورواية ليكن اسمى جانتنبين Mein Name sei Gan-tenbein (١٩٦٤) وموضوعها المحورى هو الهوية الذاتية ، وعلى وجه التحديد موقف الفرد من الأنا يقبلها أو يرفضها عندما يتبين ما أطبق عليها من زيف وما أحاط بها من تصورات ملفقة وبطولات كاذبة ، ومواقف من الحرب يرى فيها الاثم نفسه ويفخر بما لم يفعله .

ومن أعماله المتأخرة نذكر تريптиكون Triptichon (فى عام ١٩٧٨ ، صياغة ثانية فى عام ١٩٨١) وبلاوبارت Blaubart = ذو اللحية الزرقاء فى عام ١٩٨٢ .

وليس من شك فى أن ماكس فريش استحسن مشروع إقامة أرشيف لأعماله وما يتصل بها من شواهد ومصادر وما كتب عنها وما أحدثت من تأثير وهو الأرشيف الذى أقامته كلية الهندسة فى زيوريخ ، معترفة بفضله تلميذها الذى بلغ من بلغ من الشهرة العالمية . وقد شارك فريش منذ عام ١٩٧٩ مشاركة فعالة فى إقامة هذا الأرشيف الخاص وأمدّه بما لديه من مخطوطات ووثائق .

بيدرمن :

كتب ماكس فريش **بيدرمن** فى البداية لتكون تمثيلية إذاعية « السيد بيدرمن ومشعلو الحرائق » (١٩٥٣) ثم صاغها مسرحية بالاسم نفسه تقريباً ، بعد أن حذف كلمة « السيد Herr » (١٩٥٨) وحققت المسرحية نجاحاً كبيراً لعله أكبر نجاح عرفه عمل من أعمال المسرحية على الإطلاق . يضم النص فى نسيجه العام مجموعة من أفكار فريش الرئيسية مثل رفض الحرب والعمل من أجل السلام ، وبخاصة السعى من أجل إقامة مجتمع جديد يحقق العدالة والسعادة على نحو متوازن ، وهو حلم قرب ماكس فريش من مواقف المعارضة والتجمعات اليسارية والأحزاب الاشتراكية ، وهو لا يعرف حلاً جديداً ولكنه على يقين من أن الإنسان يعاني فى عالم مبهم يزداد إبهاماً ، ومن القوى يحلم بمزيد من القوة ، والغنى بمزيد من الغنى ، على حساب من يترفعون أو يعجزون أو يتعرضون للاستغلال .

فهو هكذا يعالج موضوعاً فلسفياً أخلاقياً اجتماعياً يحفز القارئ على التفكير فى كثير من الترابطات والإسقاطات ، أما القالب فهو قالب شبيه بالأسطورة وشبيه فى الوقت نفسه بالمسرحية اليونانية ذات الكورس الذى يتحدث بلسان الضمير .

والشخصية المحورية السيد بيدرمن رجل « شاطر » اختار له فريش هذا الاسم الألمانى المركب الذى يثير فىنا هذا الإحساس أنه رجل من أهل هذا الزمان هدفه النجاح الذى يترجم إلى مال وأبهة ونفوذ واستغلال ، وهو فى سبيل هذا

الهدف يدوس القيم الأخلاقية ولا يهتم بالأبعاد الاجتماعية أو الإنسانية ،
والأمثلة التي نعيشها في هذا العمل الضاحك الباكي تتخلص في أن هذا
الرجل ، إذ يظن أنه يزداد ثراء وقوة وحنكة وقدرة على التصرف ، يزداد في
الحقيقة خوفاً وعجزاً وضعفاً وسخفاً ، وهو يتعamy ، ويضل نفسه بوسائله
التزييفية حتى ينتهي به الأمر إلى الاشتراك مع مشعل الحرائق في حرق بيته ،
وهو يتصور أنها لعبة من الألعاب التي تمكن منها ، ولن تلبث أن تنتهي
لصالحه. هكذا تتضح الحقيقة بعد فوات الأوان ، ونرى هذا الإنسان الذي ظن
أنه يستطيع التغلب على غرمائه المظلومين الذين لم ينالوا حظهم في المجتمع
وقد فقد كل شيء .

وليس من شك في أن هذه المسرحية الأمثلة Parabel ترتبط بتراث عرفه
الأدب الإنجليزي باسم إيفريمن Everyman ، وعرفه الأدب الألماني باسم
يدرمن Jedermann يدلنا على ذلك ما أدخله فريش في مسرحيته من
« مسرحية من داخل مسرحية » أو « نص من داخل نص » والاسم ييدرمن
كلمة منسوجة على منوال يدرمن . وهذا اليدرمن ، أو هذا الـ « كل إنسان »
نمط الإنسان المتكرر الذي يخطيء الخطأ البشري ولا يتعلم .

مزج فريش إذن مسرحيته بعناصر من تمثيلية يدرمن القديمة التي انتشرت
في كتابات الألمان نقلاً عن الإنجليز والهولنديين في أواخر القرن الخامس عشر
وموضوعها في أصله موضوع يرجع - كما بينت البحوث المقارنة - إلى أصل
عربي إسلامي . إليك هذا الإنسان الذي يتمتع بلذات الحياة دون أن يلزم قواعد
الأخلاق والإيمان ودون أن يرعى حقوق الناس ودون أن يفكر في الدار الآخرة ،
وبينا هو على هذه الحال ، يظهر له ملك الموت فيفزع ويتمنى أن يتاح

له بعض الوقت ليتصدق وليكون من الصالحين ، ولكن هيهات : لم يبق إلا الحساب يوم يوضع الميزان .

تعددت صياغات هذه التمثيلية الوعظية أو الأمثولة وتنوعت فى العصور الوسطى ، وبداية العصور الحديثة ، ولدنا صياغة لها بقلم هانس زاكس Hans Sachs (١٤٩٤ - ١٥٧٦) بعنوان « كوميديا الرجل الغنى الذى يدعى هيكاستوس عندما حضره الموت » Comedi von dem reichen sterbenden Menschen, der Hecastus genannt التى جردها هوجو فون هوفمنستال Hugo von Hofmannsthal فى عام ١٩١١ بعنوان « يدرمن تمثيلية وفاة الرجل الغنى » Jerdermann. Das Spiel vom Sterben des reichen Mannes .

أفاد ماكس فريش من المادة الموروثة ، ولكنه وسع النطاق ليشمل مشكلات المجتمع الحديث الذى أتيح له من التقدم الفكرى والتقنى والعلمى والصناعى والتجارى الشىء الكثير ، ولكنه لم يزل يضم بين ظهرائه الإنسان الذى يستغل أخاه الإنسان ليحقق الأرقام الأعلى فى التوزيع والنجاح والثروة والقوة ، ولكن غفلته عن الأبعاد الاجتماعية والإنسانية وعن القيم تهدد كل شىء بالفناء بل إن يدرمن عندما يواجه الامتحان ويدرك سوء عمله يسترسل فى الزيف والتزييف إلى النهاية ، إلى الهاوية .

دكتور مصطفى ماهر

القاهرة فى صيف ١٩٩٥

الأشخاص :

Herr Biedermann	السيد بيدرمن
Babette, seine Frau	بابيثة : زوجته
Anna, ein Dienstmädchen	أنه : خادمة
Schmitz, ein Ringer	شميتس : مصارع
Eisenring, ein Kellner	أيزنرينج : جرسون
Ein polizist	شرطى
Ein Dr phil .	دكتور فى الفلسفة
Witwe Knechtling	الأرملة كنيشتلينج
Der Chor, bestehend aus den Mannen der Feuerwehr	كورس يتكون من رجال المطافىء
	المنظر : حجرة وسندرة .

(المسرح مظلم ، فجأة يشتعل عود ثقاب : السيد بيدرمين يشعل سيجاراً ،
ويظهر وجهه فى ضوء عود الثقاب . وبينما تزداد الإضاءة يتلفت السيد
بيدريمين حوالیه . رجال المطافئ يحيطون به ، وعلى رؤوسهم
خوذاتهم)

بيدريمين : لم يعد الإنسان اليوم يستطيع أن يشعل أى شىء .. حتى
السيجار دون أن يفكر فى الحريق ! ... هذا شىء فظيع .
(يخفى بيدرمين السيجار الذى يتصاعد منه الدخان ، وينتحي جانباً ،
عندئذ يتقدم رجال المطافئ على هيئة الكورس اليونانى القديم)
(ساعة برج تدق : ربع ساعة)

الكورس : يا أهل البلد ، تطلّعوا ..
إلى حَمَاة البلد ، إلينا
فإنّا نترصد ،
وإنّا نتصنّت ،
وإنّا نتلطّف مع المواطن اللطيف .
رئيس الكورس : فهو الذى يدفع لنا أجرنا .

الكورس : بعدّة ممتازة
نطوّف حول بيوتكم ،
متيقظين وطيبين .
رئيس الكورس : وقد نجلس أحياناً ،
دون أن ننام ،
فنحن لا نعرف التعب .

الكورس : بل نترصد ،

ونتسمع

فيظهر المكنون

قبل فوات الأوان ونرى ، ونكشف كل ما فيه خطر الحريق .

(ساعة برج تدق : نصف الساعة)

رئيس الكورس: وخطر الحريق كامن فى أشياء كثيرة ..

وليست كل نار تشتعل قدراً مكتوباً

لا رادّ له ولا مانع .

الكورس : أما ذلك الذى يسمونه لك بالقضاء والقدر ،

حتى لا تسأل كيف يتأتى وينقضى ؛

ذلك الشيء الفظيع الذى قد يأتى على مدن بأسرها ..
فحماقة

رئيس الكورس: إنسانية .

الكورس : إنسانية جداً .

رئيس الكورس: تبید جنس المواطنين البورجوازيين الفانى .

(ساعة برج تدق : ثلاثة أرباع الساعة)

الكورس : والعقل قادرٌ على تجنب الكثير .

رئيس الكورس: حقاً .

الكورس: فلا يجوز هذا من الرب أبداً ،

ولا يجوز هذا للإنسان أبداً ..

فهو إذا قدّر الأمور الإنسانية على هذا النحو

لا يستحق هذا الاسم أبداً .

ولا الأرض الربانية ،

السرمدية ،

ذات الخير والمنّة على الإنسان .

ولا الهواء الذى يتنسمه ،

ولا الشمس

تستحق

أن تسمى قضاء وقدرأ ، لأنها حدثت:

الحماقة .

التي لم يكن هناك فيما مضى سبيل إلى إطفائها .

(ساعة برج تدق : أربعة أرباع الساعة)

رئيس الكورس: لقد حان وقت انتباهنا .

(يجلس الكورس بينما تدوى دقات الساعة معلنة : الساعة التاسعة)

المشهد الأول

حجرة

(جوتليب بيدرمين يجلس فى حجرته ويقرأ الجريدة مدخناً سيجاراً، وتدخل

الخادمة أنه بمريلتها البيضاء الصغيرة، حاملة زجاجة نبيذ)

أنه : يا سيد بيدرمين ؟

(لا يجيب)

يا سيد بيدرمين -

(يطوى الجريدة)

بيدريمن : لا بد من تعليقهم على المشانق . ألم أقل هذا مراراً وتكراراً ؟
ها هوذا حريقٌ جديد . وهاهى ذى القصة نفسها تتكرر
بحدافيرها ، القصة نفسها ، بالضبط : بائع متجول يدق الباب ..
ويدخل .. ويعشش فى السندرة .. بائع متجول .. عادى .. لا يثير
مظهره شكاً أو شبهة .

(يتناول الزجاجة)

لا بد من تعليقهم على المشانق !

(يأخذ الفتاحة)

أنه : يا سيد بيدرمين

بيدرمن : ماذا تريدین ؟

أَنَّهُ : إنه لا يزال واقفاً ينتظر .

بيدرمن : من هذا ؟

أَنَّهُ : البائع المتجول الذى يريد محادثتك .

بيدرمن : أنا لست بالبيت !

أَنَّهُ : لقد قلتُ له هذا ، يا سيد بيدرمين ، منذ ساعة ، ولكنه يقول إنه

يعرفك . وأنا لا أستطيع أن ألقى به إلى الخارج ، يا سيد بيدرمين

أنا لا أستطيع ذلك على الإطلاق .

بيدرمن : لماذا ؟

أَنَّهُ : لأنه قوى جداً ...

(بيدرمين يفتح الزجاجه)

بيدرمن : فليأت إذن إلى غداً فى المكتب .

أَنَّهُ : قلت له ذلك يا سيد بيدرمين ، قلته له ثلاث مرات ، ولكنه لم
يُبدِ اهتماماً به .

بيدرمن : ولم لا ؟

أَنَّهُ : لأنه لا يريد دهاناً للشعر .

بيدرمن : فماذا يريد إذن ؟

أَنَّهُ : يريد الإنسانية ...

(بيدرمين يشم السدادة)

بيدرمن : قولى له إننى سألقى به بيدى إلى الخارج إذا لم ينصرف
الفور .

(يملأ باحتراس كأس النبيذ البورجونى)

الإنسانية !

(يتذوق النبيذ) .

عليه أن ينتظر فى الخارج ، وسأذهب إليه فى الحال . إذا كان
يبيع شيئاً : كتيبات ، أو شفرات حلاقة ، فأنا لست مجرداً من
الإنسانية ، ولكنى .. آه ، أنا لست مجرداً من الإنسانية يا أنه ،
أنت تعرفين ذلك تمام المعرفة ! ولكنى لا أريد أن يدخل
أحد على بيتى . لقد قلت لك هذا من قبل مائة مرة . حقيقة
إننا لدينا ثلاثة أسرة خالية ، ولكن لا أريد أن يدخل أحد على
بيتى ، هذا محال ، محال . فأنا أعرف إلى أين يؤدى بى مثل
هذا التصرف فى أيامنا هذه .

(أنه تهَم بالانصراف فترى أن الرجل الغريب قد دخل ؛ رجل قوى البنية
مفتول العضلات ، يرتدى حُلّة تذكرنا تارة بالسجن وبالسيرك تارة أخرى
وعلى ذراعه وشم ، وحول معصمه رباط من الجلد ، أنه تتسلل إلى
الخارج . أما الرجل الغريب فينتظر حتى يفرغ السيد بيدرم من تذوق
نبيذه ، ثم يلتفت إليه) .

شميتس : مساء الخير .

(يسقط السيجار من فم بيدرم من فرط دهشته)

سيجارك ياسيد بيدرم ..

(يلتقط السيجار ويقدمه إلى بيدرم)

- بيدرمن : قل لى ..
- شميتس : مساء الخير
- بيدرمن : ما هذا ؟ لقد قلت للبنت بمنتهى الوضوح إن عليك أن تنتظر
فى المدخل فلماذا - هذا شيء لابد من أن أقوله - لماذا.. دون
أن تقرر الباب
- شميتس : اسمى شميتس .
- بيدرمن : دون أن تقرر الباب .
- شميتس : شميتس .. يوزف شميتس .
- (صمت)
- مساء الخير .
- بيدرمن : وماذا تريد ؟
- شميتس : لا تخف يا سيد بيدرمن : أنا لست بائعاً متجولاً .
- بيدرمن : فماذا تكون ؟
- شميتس : أنا مصارع محترف .
- بيدرمن : مصارع ؟
- شميتس : من الوزن الثقيل .
- بيدرمن : واضح .
- شميتس : أعنى أننى كنت مصارعاً فيما مضى .
- بيدرمن : والآن ؟
- شميتس : بلا عمل .

(فترة)

لا تخش شيئاً يا سيد بيدرمين . أنا لا أبحث عن عمل . على
العكس . فقد سئمت المصارعة ... وأنا إنما دخلت هنا لأن
المطر ينهمر في الخارج .

(فترة)

الدنيا هنا أكثر دفئاً .

(فترة)

أرجو ألا يكون في ذلك إزعاج لك .

(فترة)

بيدريمن : هل تدخن ؟

(يقدم إليه سيجاراً)

شميتس : شيء فظيع يا سيد بيدريمن إذا كان للإنسان جسم قوى
وعضلات مفتولة مثلى . شيء فظيع . كل الناس يخافوننى ...
شكراً !

(بيدريمن يشعل له السيجار)

شكراً .

(يقفان ويدخان)

بيدريمن : والآن ندخل في الموضوع . قل لى باختصار .. ماذا تريد ؟

شميتس : اسمى شميتس .

بيدريمن : لقد قلت ذلك من قبل ... تشرفنا .

شميتس : أنا بلا مأوى .

(يقرب السيجار من أنفه ويتنسم رائحته الطيبة)

أنا بلا مأوى

بيدرمن : هل تريد قطعة من الخبز ؟

شميتس : إذا لم يكن لديك شيء آخر سواها ..

بيدرمن : أو تريد كأساً من الخمر ؟

شميتس : خبزاً وخمراً ... على ألا يكون في ذلك إزعاج لك وإثقال

عليك يا سيد بيدرمن ... على ألا يكون في ذلك إزعاج لك

وإثقال عليك !

(بيدرمن يتجه ناحية الباب)

بيدرمن : أنه .

(بيدرمن يعود)

شميتس : لقد قالت لي البنت إن السيد بيدرمن يريد أن يلقي بك بنفسه

إلى الخارج ، ولكنني يا سيد بيدرمن قلت في نفسي إنك لا

يمكن أن تكون جاداً في هذا .

(أنه دخلت)

بيدرمن : أحضري كأساً أخرى .

أنه : حالاً .

بيدرمن : وشيئاً من الخبز .. هه .

شميتس : وإذا لم يكن في ذلك إثقال على الأنسة : شيئاً من الزبد ، وشيئاً

من الجبن أو اللحم البارد .. أو ما إلى ذلك . على ألا يكون في

ذلك إزعاج أو مشقة ... وبعض الخيار والطماطم أو ما إلى ذلك ، وشيئاً من المسطردة مثلاً .. الموجود يا آنسة .

أنه : حالاً !

شميتس : على ألا يكون في ذلك إزعاج أو مشقة .

(أنه تخرج)

بيدرمن : لقد قلتَ للبنت إنك تعرفنى .

شميتس : طبعاً يا سيد بيدرمن ، طبعاً .

بيدرمن : ومن أين تعرفنى ؟

شميتس : أعرفك من أحسن جانب من جوانبك ، يا سيد بيدرمن ، من

أحسن جانب . وأنا أعلم أنك بالأمس ، عندما كنتَ جالساً إلى

مائدتك المعهودة في الحانة ، لم ترنى في الركن الذى كنتَ

قابلاً فيه . كم كان جمهور الحانة كله يبتهج ، يا سيد بيدرمن

ويتهلل بشراً فى كل مرة كنتَ تدق فيها بقبضتك المائدة !

بيدرمن : وماذا كنت أقول ؟

شميتس : الحق الذى لا حق غيره .

(يدخن سيجارة ، ثم يقول)

كنت تقول : لابد أن يعلقوهم على المشانق ! وكلما أسرعوا فى

شنقهم ، كان أفضل .

مشعلى الحرائق ..

(بيدرمن يقدم إليه كرسيًا وثيراً)

بيدرمن : تفضل

(شميّس يجلس)

شميّس : إننا بحاجة إلى رجال مثلك ، يا سيد بيدرمن

بيدرمن : نعم ، نعم ، بكل تأكيد ، ولكن ..

شميّس : ليس هنا محل لكلمة « ولكن » يا سيد بيدرمن ، كلمة

« ولكن » كلمة لا محل لها هنا . أنت رجل من المعدن القديم

العريق ، وأنت ثابت على الموقف الإيجابي لا تنصرف عنه . هذا

هو السبب .

بيدرمن : بكل تأكيد .

شميّس : لا تزال لديك الشجاعة الأدبية .

بيدرمن : بكل تأكيد

شميّس : وهذا هو السبب .

بيدرمن : السبب في ماذا ؟

شميّس : لا يزال عندك ضمير ، هذا هو الشيء الذي أحس به جمهور

الحانة كله ، عندك ضمير بمعنى الكلمة .

بيدرمن : نعم ، نعم ، هذا شيء طبيعي .

شميّس : لا يا سيد بيدرمن ، ليس هذا بالشيء الطبيعي ، في أيامنا هذه .

في السيرك الذي كنتُ أصرع فيه على سبيل المثال ولهذا

أحرق السيرك والتهمته النيران عن آخره .. مفهوم . وإليك مثل

آخر : مديرتنا ، لقد قال لي : هل يمكنك يا يويو - يويو اسم

التدليل ، واسمى الحقيقى يوسف - قال لى : هل يمكنك يا يويو
أن تقول لى - وإليك كلامه بالحرف الواحد : هل يمكنك
يا يويو أن تقول لى لماذا أحتاج إلى ضمير ؟ كلامه بالحرف
الواحد - قال لى : إن كل ما أحتاج إليه لتسيير أمورى مع
حيواناتى هو الكرباج . كلامه بالحرف الواحد . هكذا كان هذا
الرجل ! ضمير ! ضمير ! ثم ضحك وقال : لو أنك وجدت
إنساناً عنده ضمير فهو على الأرجح ضمير أثقلته الآثام .

(يدخن ممتعاً بالتدخين)

الله يرحمه .

بيدرمن : هل تريد أن تقول إنه مات ؟

شميتس : التهمته النيران هو وكراكييه كلها .

(ساعة كبيرة قائمة تدق التاسعة)

بيدرمن : لا أفهم ماذا تعمل البنت طوال هذا الوقت .

شميتس : أنا لست على عجل .

(فجأة تتلاقى نظراتهما)

- وأنت ليس لديك بالبيت سرير خالٍ ، يا سيد بيدرمن ، هذا ما

قالت لى البنت .

بيدرمن : لماذا تضحك ؟

شميتس : معذرة .. ليس لدينا سرير خالٍ . هذا ما يقوله الجميع . ما يكاد

إنسان بلا مأوى يعرض لهم حتى يُسمعونه هذه العبارة - منع

أننى لا أريد سريراً على الإطلاق .

بيدرمن : لا تريد سريراً؟

شميتس : لقد تعودت يا سيد بيدرمن أن أنام على الأرض . فقد كان أبي حطاباً . لقد تعودت على ذلك .

(يدخن وهو عاكف على نفسه)

لا محل لكلمة «ولكن» يا سيد بيدرمن . كلمة «ولكن» لا محل لها . أنا رأيي أنك لست واحداً من هؤلاء الذين يرفعون عقائهم في الحانة لأن خوفاً تملكهم . أنا أصدق كلامك . أنت تقول : معذرة .. ليس لدينا سرير خالٍ ... تلك عبارة يقولها الجميع . أما أنت ، يا سيد بيدرمن ، فتقولها صادقاً ، وأنا أصدقك ، أنا أصدق كل كلمة تقولها ... إلى أين تنتهي بنا الحال إذا لم يعد الواحد منا يصدق الآخر ؟ أنا دائماً أقول : إلى أين تنتهي بنا هذه الحال يا أولاد ! كل واحد منا يشك في الآخر ويظنه من مشعل الحرائق . لقد انعدمت الثقة في الدنيا . ألسنت على حق في هذا ؟ لقد أحس جمهور الحانة جميعاً بأنك لا تزال تؤمن بما في البشر من خير وبما فيك أنت من طيبة . كلهم أحسوا بذلك يا سيد بيدرمن . ألسنت على حق في هذا ؟ أنت أول إنسان في هذه البلدة لا يعاملني كما لو كنت من مشعل الحرائق .

بيدرمن : هذه هي الطفاية .

شميتس : ألسنت على حق في هذا ؟

(ينفذ رماد السيجار بعناية)

غالبية الناس اليوم لا تثق في الرب ، بل تضع ثقتها في رجال المطافئ .

بيدرمن : ماذا تعنى بذلك ؟

شميتس : الحقيقة

(أنه تدخل حاملة صينية صغيرة)

أنه : ليس لدينا لحم بارد .

شميتس : يكفى هذا يا آنسة ، يكفى - آه ، لقد نسيت شيئاً ، نسيت
المسطرة .

أنه : متأسفة !

(أنه تخرج)

بيدرمن : كل .

(بيدرمن يملأ الكاسين)

شميتس : هذه معاملة لايجدها الواحد منا فى كل مكان يا سيد بيدرمن !
أنا أقول لك هذا عن خبرة . ويا لها من خبرة . لقد رأيت
الكثير ! ما يكاد الواحد منا يدخل بيتاً ، ما يكاد يتجاوز عتبة
بيت .. بدون كرافته ، بدون مأوى ، جوعان ... حتى يجد من
يستقبله قائلاً : تفضل ، اجلس .. ثم يتم الاتصال بالشرطة ،
فى الخفاء .. من وراء ظهرك . ما رأيك فى هذا المسلك ؟
لست أطلب شيئاً أكثر من مأوى ، مأوى فقط ، أنا المصارع
الشهير الذى أمضى حياته فى المصارعة . فجأة ، على غير انتظار
، يظهر أمامى رجل لم يمارس المصارعة على الإطلاق ،
فيمسك بتلابيبى . هنالك أسأله : لماذا ؟ ولا أزيد عن أن ألفت
ورائى ، مجرد التفاتة ، لا لشيء إلا لأنظر إليه ، مجرد نظرة :
وإذا به ينهار تماماً وتخور قواه .

(يتناول كأساً)

فى صحتك .

(يشريان ، ثم يبدأ شميتس فى تناول الطعام)

بيدرمن : هذه حكاية كل يوم يا سيدى . حكاية والله . لا يكاد الإنسان يفتح جريدة حتى يطالعه خبر عن حريق جديد . جرى بالطريقة المعهودة ، بالضبط : بائع متجول يظهر بالباب ، ويطلب مأوى ، وفى الصباح التالى يحترق البيت وتتصاعد منه ألسنة اللهب إلى عنان السماء كل ما أقصده ، بصراحة ، هو أننى أفهم مسلك أولئك الذين يتسرب إلى نفوسهم شىء من الشك والريبة .

(يتناول الجريدة)

هنا .. تفضل .

(يضع الجريدة منشورة أمام شميتس بجوار الصحن)

شميتس : رأيته .

بيدرمن : حى بأكمله التهمته النيران .

(يهب واقفاً ليعرض على شميتس ما جاء بالجريدة)

هنا : اقرأ .

(شميتس يأكل ويقرأ ويشرب)

شميتس : هذا ، هذا النبىذ « بوجوليه » ؟

بيدرمن : نعم .

شميتس : الأفضل أن أنتظر حتى يسخن قليلا .

(ينظر إلى الجريدة من فوق الصحن ويقرأ)

- « ويبدو أن الحريق تم تديره وتنفيذه بالأسلوب نفسه الذى اتبع فى المرة السابقة » .

(ينظر كل منهما إلى الآخر)

بيدرمن : أليس هذا شيئاً عجيباً ؟

(شميّس ينحى الجريدة جانبا)

شميّس : وأنا لهذا لا أقرأ الصحف .

بيدرمن : ماذا تعنى بـ « لهذا » ؟

شميّس : لأنها تكتب دائماً نفس الشيء .

بيدرمن : آه ، نعم يا سيدى ، صحيح ، طبعاً ، طبعاً . ولكن - ولكن

امتناعك عن قراءة الجريدة يا سيدى ليس حلاً ، فلا بدّ للإنسان على أية حال أن يعرف ما سيجرى عليه .

شميّس : ولماذا ؟

بيدرمن : لمجرد المعرفة .

شميّس : ولكنها آتية لا ريب فيها ، يا سيد بيدرمن ، آتية لا ريب فيها .

(يشم السجق)

المحكمة الإلهية .

(يقطع شيئاً من السجق)

بيدرمن : أتظن ذلك ؟

(أنه تأتى بالمسطرده)

شميّس : شكراً يا آنسة ، شكراً .

أنّه : هل تريد شيئاً آخر ؟

شميّس : ليس اليوم .

(تظل أنه بالباب)

المسطرده هي أشهى الأطعمة فى تقديرى -

(يضغط على الأنبوية ليستخرج منها لنفسه بعض المسطرده)

بيدرمن : لماذا تأتي المحكمة الإلهية ؟

شميتس : ومن أين لى أن أعرف .

(يأكل بنهم ويلقى نظرة أخرى إلى الجريدة ويقرأ)

- « ويرى الخبراء أن الحريق جرى تدبيره وتنفيذه بأسلوب المرة الماضية نفسه » .

(يضحك ضحكة قصيرة ثم يملأ كأسه بالنبيذ)

أَنَّهُ : يا سيد بيدرمن ؟

بيدرمن : ماذا تريدان ؟

أَنَّهُ : السيد كنيشتلينج يودّ محادثتك .

بيدرمن : كنيشتلينج ؟ الآن كنيشتلينج ؟

أَنَّهُ : إنه يقول ..

بيدرمن : لا يمكن .

أَنَّهُ : إنه يقول إنه لا يستطيع أن يفهمك .

بيدرمن : ولماذا يفهمنى ؟

أَنَّهُ : إنه يعول امرأة مريضة وثلاثة أولاد .

بيدرمن : لا يمكن - أنا قلت لا يمكن .

(يهب واقفا من فرط الانفعال)

السيد كنيشتلينج ! السيد كنيشتلينج ! الله ! خير للسيد كنيشتلينج أن يتعبد عنى وألا يعكر صفو حياتى ! يا حفيظ ! يا مغيث ! أعوذ بالله ! وله إن شاء أن يوكل عنه محامياً ، السيد كنيشتلينج ! أنا لا أقبل كل هذه التمثيلية التى يمثلها بسبب فصله . شىء مضحك ! والغريب أن هذا يحدث اليوم وقد وصلت التأمينات إلى حد لم تصل إليه من قبل فى تاريخ

الإنسانية ... نعم . عليه أن يوكل عنه محامياً . هه . وأنا كذلك سأوكل عنى محامياً . من أجل نصيبه فى اختراعه . نصيبه فى اختراعه عليه أن يختار بين أمرين ، إما أن يضع الموضوع تحت فرن الغاز أو يوكل عنه محامياً .. هه .. هذا إذا كانت لدى السيد كنيشتلينج القدرة على أن يكسب القضية أو على أن يخسرها .. هه ! هه !

(يتعالك نفسه وقد تركز بصره على شميتس)

قولى للسيد كنيشتلينج : عندى ضيف .

(أنه تخرج)

لا مؤاخذه !

شميتس : أنت هنا فى بيتك يا سيد بيدرمين .

بيدريمن : هل طعمه على مزاجك ؟

(يجلس وينظر إلى الضيف كيف يتلذذ بالطعام)

شميتس : من كان يظن أنها لا تزال موجودة ، من كان يتصور أنها لا

تزال موجودة ، فى أيامنا هذه .

بيدريمن : المسطردة ؟

شميتس : الإنسانية .

(يقلل أنبوبة المسطردة)

أعنى أنك لم تمسك بتلابيبى ، يا سيد بيدريمن ، ولم تلقِ بى

إلى قارعة الطريق - إلى العراء ؛ حيث يهطل المطر - هذا هو يا

سيد بيدريمن ما نحتاج إليه : الإنسانية .

(يتناول الزجاجاة ويصب فى كأسه شينا من الخمر)

ربنا يجازيك !

(يشرب ويتمتع بالخمر على نحو واضح)

بيدرمن : لا ينبغي أن تظن الآن يا سيد شميّس أنني مجرد من الإنسانية .

شميّس : العفو يا سيد بيدرمن .

بيدرمن : هذا هو ما تدّعيه زوجة كنيشتلينج .

شميّس : لو أنك كنت مجرداً من الإنسانية يا سيد بيدرمن ، لما أويتني في هذه الليلة ، هذا شيء واضح .

بيدرمن : أليس كذلك ؟

شميّس : حتى وإن لم يكن المأوى سوى سندرة .

(يضع الكأس على المائدة)

الآن أصبحت خمرنا دافئة ، على خير ما ينبغي أن يكون عليه الدفء .

(يدق أحدهم جرس الباب)

الشرطة ؟

بيدرمن : بل زوجتي .

شميّس : هه .

(الجرس يدق مرة أخرى)

بيدرمن : تعال .. ولكن على شرط ألا تحدث ضجة ، فزوجتي يا سيدي مريضة بالقلب :

(تتناهى إلى السمع أصوات نسائية . بيدرمن يلوح إلى شميّس أن

يسرع ويساعده في حمل الصينية والكأس والزجاجة ، يسير الاثنان على

أطراف أصابعهما ناحية اليمين حيث يجلس الكورس)

بعد إذنكم .

(يطلع فوق الأريكة وينزل من الناحية الأخرى)

شميتس : بعد إذنكم .

(يطلع فوق الأريكة وينزل من الناحية الأخرى : يختفيان عن الأنظار

بينما تدخل زوجة بيدرمين الحجرة من ناحية اليسار ترافقها أنه التي

تحمل عنها ما أحضرته من أشياء)

بابيته : أين زوجي ؟ أنت تعرفين جيداً يا أنه أننا لسنا من محدثي

النعمة : من حَقَّك أن يكون لك صديق ، ولكنني أرفض أن

نخبئه في البيت يا أنه !

أنه : ليس لي صديق يا سيدتي .

بابيته : فلمن الدراجة الصدئة المركونة بجوار باب البيت ؟ لقد أوشكت

على الموت فزعاً عندما رأيته .

السندرة

(بيدرمين يضغط على مفتاح النور فتضيء السندرة ، ويلوح إلى شميتس

أن يدخل . ويدور الحديث بينهما همساً)

بيدرومن : هنا المفتاح ... إذا أحسست بالبرد فهنا في مكان ما فروة خروف

قديمة على ما أظن - ولكن عليك بالهدوء التام أستحلفك بالله

عليك بالسكون التام .. اخلع حذاءك .

(شميتس يضع الصينية ويخلع أحد حذائيه)

شميتس : يا سيد شميتس

بيدرومن : نعم يا سيد بيدرومن ؟

ولكن عليك أن تؤكد لي أنك فعلاً لست من مشعلى الحرائق ؟
(شميّس لا يجد مفراً من الضحك)

هس !

(يهز رأسه بحركة تعنى ، تصبح على خير ، ويقفل الباب . شميّس
يخلع الحذاء الآخر .)

الحجرة

(بابيته وقد سَمِعَتْ شيئاً - ترهف السمع - تنظر مفزوعة - ثم يبدو
عليها الارتياح فجأة - وتتجه إلى المشاهدين)

بابيته : لقد وعدنى زوجى ، جوتليب ، وهو اسم على مسمى ، جوت
ليب : حبيب الله - أن يذهب بنفسه فى كل مساء إلى
السندرة ، وأن يفتش فيها بنفسه ، ويتأكد شخصياً من عدم
وجود أحد من مشعلى الحرائق بها . كم أنا ممنونة ، شاكرة له !
فما كنت أستطيع أن أنام نصف الليل لو لم يفعل ذلك .

السندرة

(شميّس يذهب إلى المفتاح الكهربائى ويطفئ النور ، شميّس يلبس
جورياً بغير حذاء)

الكورس : يا أهل المدينة الوطن
تطلعوا إلينا ونحن ساهرون ، نحن حراس البراءة ،
فى غير لؤم لا نزال
نحيط بالود المدينة النائمة ،
ونحن جالسون
ونحن واقفون .

رئيس الكورس : قد نحشو بالتبع غليوناً لدفع الملل .

الكورس : مترصدون ،
متصنتون ،
حتى لا تفور من بين السقوف الأليفة
ألسنة من النيران عالية ،
تأتى على الوطن
على المدينة الوطن .

(ساعة برج تدق : الساعة الثالثة)

رئيس الكورس : كل إنسان على علم بأننا هنا ،
وبأن إشارة من الهاتف تكفى عندنا .
(يحشو غليونه)

الكورس : من الذى يضىء النور فى الحجرة
فى هذه الساعة ؟
آه ، بأعصاب محطمة ،
منكودة مسهدة مكدودة
أرى الزوجة

(بابيته تظهر مرتدية معطف البيت)

بابيته : هناك من يسعل .

(يتناهى إلى السمع صوت شخير)

المشهد الثانى

حجرة

(بيدرمين يقف مرتدياً المعطف وعلى رأسه القبعة وتحت إبطه الحقيبة الجلدية، يرتشف قهوة الصباح ، ويتكلم مع شخص خارج الحجرة)

بيدرمن : أقول لك للمرة الأخيرة : إنه ليس من مشعلى الحرائق .
صوت : وكيف عرفت ذلك ؟
بيدرمن : سألته ، سألته هو شخصياً ... ثم : ألم يعد هناك فى الدنيا شيء آخر يفكر فيه الإنسان سوى هذا الموضوع ؟ إن الإنسان ليصاب هكذا بالجنون ! آه ! يا لكم ، ولحديثكم الدائم عن مشعلى الحرائق .

(بابيئة تدخل حاملة آنية اللبن)
إن الإنسان ليصاب هكذا بالجنون .
بابيئة : لاتصرخ فى على هذا النحو .
بيدرمن : أنا لا أصرخ فيك يا بابيئة ، أنا أصرخ وحدى ، بمفردى
(تصب شيئاً من اللبن فى فنجانه)
لابد من أن أنصرف الآن .

(يشرب قهوته وهى ساخنة أكثر من المألوف)
إلى أين نصل إذا ظننا كل إنسان من مشعلى الحرائق ؟ لابد للإنسان من شيء من الثقة ، شيء من الثقة يا بابيئة .

(ينظر إلى ساعة يده)

بابيئة : أنت طيب أكثر من اللازم . وإن هذه طيبة لا أشاركك فيها
يا جوتليب .

لقد استحال على النوم طوال الليل ، أما أنت فلا تحكّم إلا
قلبك . سأقدم إليه طعام الإفطار ، ثم سأطلب منه بعد ذلك يا
جوتليب أن ينصرف إلى حال سبيله .

بيدرمن : افعلى هذا .

بابيئة : بكل لطف ، هه ، وبدون أن أخرج شعوره .

بيدرمن : افعلى هذا .

(يضع الفئجان على المائدة)

لابد أن أذهب إلى المحامى .

(يقبل بابيئة قبلة عادية . فى هذه اللحظة يظهر شميتس وعليه فراء

الخروف . يتكلمان دون أن يبصرا به)

بابيئة : لماذا فصلت كنيشتلينج ؟

بيدرمن : لأننى لم أعد بحاجة إليه .

بابيئة : ولكنك كنت دائماً راضياً عنه كل الرضى .

بيدرمن : وهذا هو بالضبط الشئ الذى أراد أن يستغله . لقد طالبنى

بنصيبه فى الاختراع . طالبنى به وهو يعلم حق العلم أن ما

نتجه من دهان للشعر بضاعة تجارية ، وليس اختراعاً . شئ

مضحك . إن السذج الذين يدلكون صلعتهم بدهان الشعر الذى

نتجه ، يمكنهم أن يصلوا إلى النتيجة نفسها إذا هم استعملوا

بدلاً منه البول الذى يتبولونه .

بابيئة : أرجوك يا جوتليب !

بيدرمن : هذه هي الحقيقة .

(يراجع محتويات الحقيقة ليتأكد من أنه لم ينس شيئاً)

أنا طيب أكثر من اللازم ، أنت على حق في ذلك . ولسوف
ألوى رقبة كنيشتلينج وأنتهى من أمره .

(يهمل بالانصراف فيرى شميتس)

شميتس : صباح الخير .

بيدرمن : يا سيد شميتس .

(شميتس يمد يده إليه ليصافحه)

شميتس : لا داعي للكلفة ، قل لي بكل بساطة يا يويو .

(بيدرمن لا يمد إليه يده ليصافحه)

بيدرمن : ستتحدث زوجتي معك يا سيد شميتس . أما أنا فلا بد أن

أنصرف الآن . للأسف . مع السلامة .

(يصافح شميتس)

مع السلامة ، يا يويو ، مع السلامة .

(بيدرمن يخرج)

شميتس : مع السلامة يا جوتليب ، هكذا أناديك .. بدون كلفة ،
مع السلامة .

(بابيئة تحملق فيه)

جوتليب . أليس اسم زوجك جوتليب ؟

بابيئة : كيف نمت ؟

شميتس : شكراً . كانت الدنيا باردة . ولكنني سمحت لنفسي يا سيدتي

باستخدام فراء الخروف - إنه يذكّرني بأيام الصبا في أكواخ

الخطابين .. نعم . أنا معتاد على البرودة ..

بابيئة : إفتارك جاهز .

شميتس : شكرأ يا سيدتى .

(تشير إلى كرسى وثير ليجلس فيه)

هذا ما لا يمكنى قبوله .

(تملأ فنجانہ بالقهوة)

بابيئة : عليك أن تأكل جيداً يا يويو ، فلا شك أن أمامك طريقاً طويلاً .

شميتس : لماذا ؟

(تشير مرة ثانية إلى الكرسى الوثير طالبة منه الجلوس)

بابيئة : هل تتناول بيضة طرية ؟

شميتس : بل بيضتين .

بابيئة : أنه .

شميتس : ها أنت ذى ترين يا سيدتى أننى أحس هنا كأننى فى بيتى .
هكذا أنا على سجيتى .

(يجلس)

(أنه دخلت)

بابيئة : بيضتين طريتين .

أنه : تحت أمرك .

شميتس : لاتركيهما فى الماء المغلى أكثر من ثلاث دقائق ونصف .

أنه : تحت أمرك .

(أنه تهتم بالانصراف)

شميتس : يا آنسة

(تلف أنه بالباب)

صباح الخير .

أته : خير ...

(أنه تخرج)

شميتس : عجيبة نظرة البنت إلى ! أعوذ بالله ! يا ساتر ! أظن ! لو كان
أمرى بيدها لتركتنى أقف على قارعة الطريق والمطر ينهمر فوق
رأسى .

(بابيته تصب القهوة فى الفجان)

بابيته : يا سيد شميتس .

شميتس : نعم ؟

بابيته : اسمح لى بأن أتكلم بصراحة .

شميتس : إنك ترتعدين يا سيدتى ؟

بابيته : يا سيد شميتس .

شميتس : ما الذى يقلقك ؟

بابيته : هل تفضل الجبن ؟

شميتس : شكراً .

بابيته : أو تفضل المربى ؟

شميتس : شكراً .

بابيته : أو تحب العسل ؟

شميتس : بالدور يا سيدتى ، بالدور ، الواحد وراء الثانى ، الواحد وراء
الثانى .

(يميل إلى وراء ليستند ظهره إلى ظهر الكرسي الوثير ويأكل شريحة من

الخبز وضع عليها الزبد ، ويعبر عن استعداده للاستماع إلى كلامها)

نعم ؟ ماذا تريدین ؟

- بابيئة : بصراحة يا سيد شميتس ...
- شميتس : قولى بكل بساطة يا يويو ..
- بابيئة : بصراحة ..
- شميتس : إنك تريدان التخلص منى ؟
- بابيئة : لا ، يا سيد شميتس ، لا . لا أريد التعبير على هذا النحو
- شميتس : فعلى أى نحو تريدان التعبير ؟
- (يتناول قطعة من الجبن)
- جبن تيلزيت ، هذا أحب الأطعمة إلى .
- (يعود إلى إسناد ظهره إلى ظهر الكرسي ، ويأكل بشهية ويعبر عن استعداده للاستماع)
- فأنت إذن يا سيدتى تعتبرينى من مشعلى الحرائق .
- بابيئة : أرجو ألا تسيء فهمى . أم هل قلت شيئاً يحمل هذا المعنى ؟
- لا ، يا سيد شميتس ، إن المساس بك شىء بعيد عن فكرى بعداً ما بعده بعد ، أوكد لك بشرفى ! ولكنك شئت ذهنى غاية التشيت . أين هذا الذى يتحدث عن مشعلى الحرائق ؟ إننى يا سيد شميتس ، لا أشكو بحال من الأحوال من سلوكك .
- (شميتس يضع الشوكة والسكين على المائدة)
- شميتس : أنا أعرف أننى لا أحسن السلوك .
- بابيئة : لا يا سيد شميتس ، ليس هذا هو الموضوع .
- شميتس : إن إنساناً يلوك الطعام بصوت مسموع .
- بابيئة : كلام فارغ .
- شميتس : كانوا يقولون لى دائماً فى ملجأ الأيتام : يا شميتس لا تمضع بصوت مسموع .
- (تتناول إبريق القهوة لتصب مزيداً منها)

بابيئه : رباه ، إنك تسيء فهمي تماماً .

(يضع يده فوق فنجانه علامة على أنه لا يريد)

شميتس : سأصرف الآن .

بابيئه : ياسيد شميتس .

شميتس : سأصرف الآن .

بابيئه : ألا تريد فنجاناً آخر ؟

(يهز رأسه)

أو نصف فنجان ؟

(يهز رأسه)

لا يصح أن تنصرف هكذا يا سيدى ، فأنا لم أرد المساس
بإحساسك ، وأنا يا سيدى لم أقل كلمة واحدة تحمل معنى
أنك تمضغ بصوت مرتفع .

(يهبط رأسه)

هل جرحت شعورك ؟

(يطبق فوطة السفرة)

شميتس : وهل تقع المسؤولية عليك يا سيدتى إذا كنت إنساناً لا يحسن
السلوك ولا يعرف اللياقة ؟! لقد كان أبى خطاباً فمن أين
لأمثالى حسن السلوك ؟ إننى يا سيدتى أحتمل الجوع والبرد ،
ولا أتبرم منهما ، ولكن التجرد من التربية ، يا سيدتى ، التجرد
من اللياقة ، يا سيدتى ، التجرد من أسباب الحضارة .. من
الثقافة ..

بابيئه : فهمت .

شميتس : سأصرف الآن .

بابيئه : إلى أين ؟

شميتس : سأخرج إلى المطر المنهمر ..

بابيئة : رباه !
شميتس : أنا معتاد عليه .
بابيئة : أرجوك ياسيد شميتس ... لا تنظر إلى هكذا ... - لقد كان
أبوك حطاباً ، يا سيد شميتس ، فهمت ، فأنت إذن قد أمضيت
بكل تأكيد شباباً قاسياً .
شميتس : بل لم يكن لي يا سيدتي شباب على الإطلاق
(يخفض بصره ويعد على أصابعه مراراً)
على الإطلاق ، كنت في السابعة من عمري عندما ماتت أمي .
(يلتفت إلى الخلف ويجفف دموعه)
بابيئة : ما لك يا يويو - لأ . لأ ... يا يويو
(تأتي أنه وتحضر البيضتين الطريتين)
أنه : أية خدمة ؟
(لا يرد عليها أحد فتعود أدراجها)
بابيئة : لن أطردك بحال من الأحوال ، ياسيدي ، وأنا لم أقل كلمة
واحدة تحمل هذا المعنى ، بتاتاً ، رباه ، ماذا قلت ؟ إنك تسىء
فهمي . فعلاً ، يا سيد شميتس ، هذا شيء فظيع ، فماذا أفعل
حتى أجعلك تصدقني ؟
(تمسكه - في شيء من التردد - من كمه)
تعال يا يويو ، تعال ، كل .
(يعود شميتس إلى الجلوس إلى المائدة)
إنك تسىء الظن بنا أية إساءة ! إنني لم ألحظ أنك تمضع
بصوت مرتفع . أقسم لك بشرفي . ثم هب أنني لاحظت ذلك :
إننا لا نهتم بالظواهر يا سيد شميتس ، ولا بد أنك أحسست بهذا
. يا سيد شميتس ، لسنا من هذا النوع ..
(يلفظ البيضة)

شميتس : ربنا يجازيكم !

بابيئه : هذا هو الملح .

(يأكل البيضة بالملقة)

شميتس : صحيح يا سيدتى ، صحيح أنك لم تطردنى ، وأنت لم تقولى كلمة تحمل هذا المعنى ، صحيح . أرجو المذرة ، أرجو أن تسامحنى سيدتى على إساءتى فهما .

بابيئه : هل هى على مزاجك ، البيضة ؟

شميتس : طرية أكثر مما ينبغى ، أكثر قليلاً مما ينبغى ... أنا متأسف جداً

(فرغ من البيضة)

ماذا كنت تريد أن تقولى يا سيدتى ، فى البداية ، عندما قلت : بصراحة .

بابيئه : آه ، ماذا كنت أريد أن أقول أصلاً .

(يفض البيضة الثانية)

شميتس : ربنا يجازيكم !

(يأكل البيضة الثانية بالملقة)

وقيللى يقول دائماً إنها لم تعد موجودة ، يعنى : الرحمة فى القطاع الخاص ، لم يعد للكرام وجود فى هذه الأيام ... التأميم شمل كل شىء . كل شىء قطاع عام ... لم يعد هناك بشر .. لم يعد هناك أناس .. بشر .. هذا هو كلامه . ولهذا السبب فإن الدنيا خربت - لهذا السبب .

(يرش ملحاً على البيض)

لو كان الآن هنا لما وسعته الدهشة ، لو نال إفطاراً كهذا لما وسعته الدهشة ، سى قيللى .

(يدق أحدهم جرس باب البيت)

بابيئة : ومن هو سى فيللى هذا ؟
شميتس : رجل عنده ثقافة ، يا سيدتى ، سترين بنفسك ، لقد كان
جرسوناً فى فندق متروبول قبل أن يحترق ، متروبول .
بابيئة : يحترق ؟
شميتس : جرسون أول ، رئيس الجرسونات .
(دخلت أنه)
بابيئة : من الذى دق الجرس ؟
أنه : رجل .
بابيئة : وماذا يريد ؟
أنه : يقول إنه من رجال التأمين ضد الحريق ، وإنه أتى ليرى البيت .
(بابيئة تقف)
إنه يلبس بدلة فراك
(بابيئة وأنه تخرجان . شميتس يصب قهوة فى فتجانه)
شميتس : إنه فيللى !

الكورس : لقد أصبحنا الآن اثنتين
تثيران فينا الشك والريبة
اثنتين ، دراجتين ، صديقتين
لهما بالطبع صاحبان، يا ترى من هما ؟
رئيس الكورس : إحداهما منذ الأمس ، والأخرى منذ اليوم .
الكورس : آه ، ثم آه .
رئيس الكورس : لقد حلّ الليل ، وها نحن هؤلاء ساهرون .
(ساعة برج تدق)

رئيس الكورس :
الخوَّاف يرى الكثير حيث لا شىء يرى
حتى ظلّه هو يشير فيه الفزع
وكل شائعة تلقاه متأهباً للنضال ، متحفزاً
ثم ما يلبث أن يترنح
ثم يعيش فى الرعب أيامه
حتى تدخل النازلة عليه :
فى قلب حجّرتة .

(ساعة البرج تدق)

رئيس الكورس :
إنهما لا يغادران البيت ، الاثنان لا يخرجان
فكيف أفسر ذلك يا ترى ؟

(ساعة البرج تدق)

الكورس :
الخوَّاف أعمى من الأعمى
يرتعد إذ يحدوه الأمل
فى ألا يكون المحظور قد أتاه
فيتلقاه بالبشر والترحاب
أعزل من كل سلاح .. آه
ومن الخوف قد تعب .
والخير كلُّ الخير يرجو
حتى يفوت الأوان .

(تدق ساعة البرج)

الكورس : آه ، ثم آه !

(الكورس يجلس)

المشهد الثالث

السندرة

(شميّس ولا يزال مرتديا ثياب المصارع ، والرجل الآخر وقد خلع سترة
الفراك وبقى بالصديري الأبيض ، مشغولان بدحرجة براميل إلى داخل
السندرة ، براميل مصنوعة من الصاج من تلك التي تستعمل في نقل
البنزين . الاثنان يتوخيان أكبر قدر من الهدوء ، وقد خلعا لذلك
أحذيتهما)

الآخر : بهدوء ! هش ! هش !
شميّس : وماذا لو خطر بباله أن يتصل بالشرطة ؟
الآخر : إلى الأمام ! إلى الأمام !
شميّس : ماذا يحدث ؟
الآخر : على مهلك ، على مهلك قف .

(دفعا البرميل إلى البراميل الأخرى التي تبدو مرصوفة في الضوء
الخافت . يتناول الآخر شيئا من ليف التنظيف وينظف أصابعه)

ولماذا يتصل بالشرطة ؟

شميّس : ولماذا لا يتصل بها ؟

الآخر : لأنه مذنب هو نفسه .

(يتناهى إلى السمع صوت رنيم الحمام)

لقد طلع النهار للأسف ، هيا بنا ننام .

(يلقى بالليف)

كل مواطن مذنب ، أو إذا أردنا الدقة : كل مواطن ابتداءً من
دخل معين . فلا تحمل همّاً .

(يقرع أحدهم الباب الموصد بالمزلاج)

- بيدرمن :** افتح ! افتح !
 (إنه يقرع الباب بعنف ويرجّه رجاً)
- الآخر :** ليست هذه دعوة لتناول طعام الإفطار .
- بيدرمن :** افتح ، افتح حالاً ، أنا أقول لك افتح ، حالاً .
- شميتس :** لم يحدث أن تصرف على هذا النحو من قبل .
 (يشتد الضجيج أكثر فأكثر ، يرتدى الآخر سترة الفراك ، فى غير هرولة ولكن بسرعة ، ويضبط الكرافتة فى موضعها ، ثم ينفذ الغبار عن نفسه ويفتح الباب : يدخل بيدرمن مرتدياً معطف البيت ولا يلحظ الزميل الجديد لأنه يقف وراء الباب المفتوح)
- بيدرمن :** يا سيد شميتس .
- شميتس :** صباح الخير يا سيد بيدرمن ، صباح الخير ، أرجو ألا تكون الكركبة السخيفة قد أيقظتك من النوم .
- بيدرمن :** يا سيد شميتس ..
- شميتس :** أعدك بأنها لن تتكرر مرة أخرى أبداً .
- بيدرمن :** اخرج من بيتى .
 (فترة)
- أنا قلت :** اخرج من بيتى .
- شميتس :** متى ؟
- بيدرمن :** فوراً .
- شميتس :** لماذا ؟
- بيدرمن :** وإلا فإن زوجتى ستطلب الشرطة ، ولن أستطيع منعها من ذلك ، ولن أمنعها .
- شميتس :** هكذا .
- بيدرمن :** فوراً ، فوراً .
 (فترة)

لماذا تتلكأ ؟

(يتناول شميثس حذاءه فى صمت)

لا أريد مناقشات .

شميثس : أنا لا أقول شيئاً .

بيدرمن : ربما خطر ببالك يا سيد شميثس أننى سأسكت على كل ما

تفعل لا لشيء إلا لأنك مصارع - هذا الضجيج ، هذه
الكركة طوال الليل .

(يشير بيده إلى الباب)

اخرج ، اخرج . قلت لك . اخرج .

(شميثس يتحدث إلى الآخر)

شميثس : لم يحدث مطلقاً أن تصرف على هذا النحو .

(بيدرمن ينظر خلفه فتخرسه المفاجأة)

الآخر : اسمى أيزينرينج .

بيدرمن : أيها السادة ؟

أيزينرينج : فيلهلم أيزينرينج .

بيدرمن : لماذا يا سادة أصبحتم اثنين ، رجلين ، هكذا فجأة ؟

(شميثس وأيزينرينج ينظر أحدهما إلى الآخر)

وبدون سؤال ، بدون استئذان .

أيزينرينج : رأيت !

بيدرمن : ماذا تعنى ؟

أيزينرينج : أليس هذا هو ما قلته لك ، أما قلت لك إن هذا لا يليق ، يا

يويو أنت لا تعرف اللياقة . هكذا دون سؤال ، دون استئذان . ما

هذا السلوك : لقد أصبحنا اثنين فجأة .

بيدرمن : أنا مذهول .

أيزنرينج : أرأيت !

(يتجه إلى بيدرمين)

لقد قلت له ذلك .

(يتجه إلى شميتس)

أما قلت لك ؟ !

(شميتس يخلج)

بيدرمين : ماذا خطر ببالكما ، أنت وهو ؟ إننى أخيراً وبعد كل شيء وفى نهاية المطاف صاحب البيت . إننى أتساءل: ماذا خطر ببالكما ، أنت وهو ؟

(فترة)

أيزنرينج عليك أن تجيب عندما يسألك السيد .

(فترة)

شميتس : قليللى هذا صديقى .

بيدرمين : ثم ماذا ؟

شميتس : ثم إننا ذهبنا إلى المدرسة سوياً ، يا سيد بيدرمين ، عندما كنا صغاراً .

بيدرمين : ثم ماذا ؟

شميتس : ثم فكرت ...

بيدرمين : نعم ؟

شميتس : ثم فكرت ...

(فترة)

أيزنرينج : أنت لم تفكر فى شيء .

(يلتفت إلى بيدرمين)

أنا مقدر لموقفك تمام التقدير ، يا سيد بيدرمين ، كل شيء صحيح .. وأخيراً وبعد كل شيء وفي نهاية المطاف ..

(يصرخ في شميتس مويخا)

هل نظن أن على صاحب البيت أن يرضى بكل شيء ، أن يسكت على كل شيء ؟

(يلتفت إلى بيدرمين)

وسى يويو لم يستأذنيك على الإطلاق ؟

بيدريمن : لم يقل كلمة واحدة .

أيزنرينج : هكذا يا يويو .

بيدريمن : ولا كلمة واحدة ؟ !

أيزنرينج : وبعد هذا تدهش عندما يرميك الناس في الشارع ؟

(يهز رأسه ويضحك ضحك المرء من إنسان غبي)

بيدريمن : ليس في هذا ما يضحك يا سادتي . إن الأمر بالنسبة إلى جاد

شديد الجد . إن زوجتي يا سادة قلبها مريض ..

أيزنرينج : رأييت !

بيدريمن : لم تنم زوجتي نصف الليل . نتيجة للضجيج ، ولكن لندخل في

صلب الموضوع ..

ماذا تفعلان هنا ؟

(ينظر حواليه)

يا للمصيبة ! ما هذه البراميل ؟

(شميتس وأيزنرينج ينظران حيث لا توجد براميل)

لا ، هنا ، هنا . من فضلكم ، ما هذه ؟

(يخط على برميل)

ما هذه ؟

شميتس : براميل .

- بيدرمن : ومن أين أتت ؟
- شميتس : هل تعرف يا قيللى من أين أتت ؟
- أيزينرينج : مستوردة ، مكتوب عليها .
- بيدرمن : يا سيدى ، يا حضرة -
- أيزينرينج : مكتوب عليها أنها صنعت فى مكانٍ ما .
- (أيزينرينج وشميتس يبحثان عن مكان الكتابة)
- بيدرمن : ماذا أقول ، لا أجد كلاماً أقوله ما الذى خطر ببالكما ؟ لماذا تملآن سندرتى كلها بالبراميل ... بكل هذه البراميل المصفوفة المرصوفة .
- أيزينرينج : بالضبط !
- بيدرمن : ماذا تعنى ؟
- أيزينرينج : سى يويو أخطأ فى الحساب .. حسب اثنى عشر برميلاً على خمسة عشر متراً ، هذا هو حسابك ، والسندرة كلها أقل من مائة متر مربع .. فماذا أفعل بالبراميل الزائدة ؟ لا أستطيع أن أتركها فى الشارع ، يا سيد بيدرمن ، ولا شك أنك تفهم هذا.
- بيدرمن : أنا لا أفهم شيئاً .
- (شميتس يشير إلى اللوحة التى كتبت عليها بيانات البرميل)
- شميتس : هنا يا سيد بيدرمن ، هنا اللوحة .
- بيدرمن : لسانى انعقد .
- شميتس : هنا مكتوب اسم المكان الذى أتت منه ، هنا .
- بيدرمن : لسانى انعقد .
- (يحملق فى اللوحة)

تحت

(أنه تصطبأ أحد رجال الشرطة إلى داخل الحجره)

أَنَّهُ : سأناديه .

(تذهب ومنتظر رجل الشرطة)

بيدرمن : فوق

بنزين ؟

تحت

(أنه تعود)

أَنَّهُ : ما هو الموضوع يا حضرة الضابط ؟

رجل الشرطة : موضوع خاص بالعمل .

(أنه تذهب ورجل الشرطة ينتظر)

فوق

بيدرمن : هل هذا صحيح يا سادة ، هل هذا صحيح ؟

أيزينرينج : ماذا ؟

بيدرمن : المكتوب على اللوحة .

(يشير لهما إلى اللوحة)

من تظنوننى ؟ هذا شىء لم يحدث لى من قبل ، أم هل
تعتقدان أننى لا أستطيع القراءة ؟

(يحملقان فى اللوحة)

انظرا ، هه .

(يضحك ضحك الإنسان من شىء لا حياء فيه)

بنزين ؟

(يتكلم بلهجة وكيل النيابة عندما يحقق)

ماذا فى هذه البراميل ؟

أيزينرينج : بنزين .

بيدرمن : ليس هذا مجال التنكيت . أنا أسألكما للمرة الأخيرة : ماذا فى

هذه البراميل ؟

وأنتما تعلمان كما أعلم أنا تمامًا أن البنزين لا مكان له فى

السندرة .

(يمسح بإصبعه على أحد البراميل)

من فضلك - شم بنفسك .

(يضع إصبعه تحت أنف كل منهما)

هل هذا بنزين أم لا ؟

(يشمشان ثم ينظر الواحد منهما إلى الآخر)

أزيد الإجابة .

أيزينرينج : هذا بنزين .

شميتس : هذا بنزين .

الاثنان معا : بكل تأكيد .

بيدرمن : هل أنتما من المجانين ؟ أتملآن سندرتي بالبنزين !

شميتس : ونحن لهذا لا ندخن يا سيد بيدرمن .

بيدرمن : وتفعلان هذا يا أيها السادة فى هذا الوقت الذى ما يكاد الإنسان

فيه يفتح جريدة حتى يقرأ فيها تحذيراً ، فيم تفكران ؟ علام

تنويان ؟ لو أن زوجتى رأت هذا لأصابها الشلل على الفور .

أيزينرينج : أرأيت !

بيدرمن : لا تقل أرأيت ! أرأيت ! بمناسبة وبغير مناسبة .

أيزينرينج : هذا شيء لا يحق لك ياويو أن تتوقعه من امرأة ، من ربة بيت ،

وأنا أعرف ربات البيوت .

(أنه تتادى فى بير السلم)

أنه : يا سيد بيدرمن ، يا سيد بيدرمن .

(بيدرمن يغلق الباب)

بيدرمن : يا سيد شميتس . يا سيد ...

أيزينرينج : أيزينرينج .

بيدرمن : إذا لم تقوما فى الحال بإخراج هذه البراميل من البيت ، فى

الحال ، على الفور ، مفهوم !

أيزينرينج : فسوف تستدعي الشرطة .

بيدرمن : نعم .

شميتس : رأييت .

(أنه تنادى فى بير السلم)

أنه : يا سيد بيدرمن .

(بيدرمن يقول هامسا)

بيدرمن : لقد كانت تلك هى كلمتى الأخيرة .

أيزينرينج : أية كلمة ؟

بيدرمن : أنا لا أقبل أن يكون فى سندرتى بنزين ، أقولها بملء فمى

للمرة الأخيرة .

أنا لا أقبل ذلك على الإطلاق .

(يقرع أحدهم الباب)

حاضر ، حاضر .

(يفتح الباب ليخرج فيدخل رجل الشرطة)

رجل الشرطة : أنت هنا يا سيد بيدرمن ، الله ، أنت هنا ، إذن فلا حاجة بك

إلى النزول ، وأنا لن أزعجك طويلا .

بيدرمن : صباح الخير .

رجل الشرطة : صباح الخير .

أيزينرينج : .. باح الخير .

شميتس : .. باح الخير .

(شميثس وأيزينرينج ينحنيان)

رجل الشرطة : الموضوع يتلخص فى أن حادثة وقعت .

بيدرمن : يا ساتر يا رب .

رجل الشرطة : رجل متقدم فى السن تدعى زوجته أنه كان يعمل لديك -

كمخترع ! - فتح على نفسه فى هذه الليلة صنبور الغاز .

(يراجع كراسه الصغيره)

اسمه كنيشتلينج ، يوهان كنيشتلينج ، عنوانه : حارة روسجاسه

، نمره ١١ .

(يدس الكراسه الصغيره فى جيبه ثانیه)

هل كنت تعرف شخصاً تنطبق عليه هذه البيانات ؟

بيدرمن : نعم .

رجل الشرطة : ربما فضلت يا سيد بيدرمن أن يكون الحديث بينى وبينك

وحدنا .

بيدرمن : نعم .

رجل الشرطة : فالموضوع لا شأن لخدمك به .

بيدرمن : لا ..

(يظل واقفاً بالبواب)

وإذا بحث أحد عنى يا سادة فأنا فى قسم الشرطة ، مفهوم ؟

وسأعود على الفور .

(شميثس وأيزينرينج يهزان رأسيهما بالإيجاب)

رجل الشرطة : يا سيد بيدرمين ..

بيدريمن : هيا بنا نذهب .

رجل الشرطة : ماذا تضعون فى هذه البراميل ؟

بيدريمن : أنا ؟

رجل الشرطة : إذا سمحت لى بأن أسأل .

بيدريمن : دهان للشعر .

(ينظر إلى شميثس وأيزينرينج)

أيزينرينج : ماركة « هورموفلور » .

شميثس : « صبيحة الارتياح فى دنيا الرجال » .

أيزينرينج : هورموفلور .

شميثس : « جربه اليوم .. ولا تنتظر إلى الغد » .

أيزينرينج : « لن تندم فسترى أثره الفعال » .

الاثنان معا : هورموفلور .. هورموفلور .. هورموفلور .

(رجل الشرطة يضحك)

بيدريمن : هل مات ؟

(بيدريمن و رجل الشرطة يخرجان)

أيزينرينج : رجل ظريف .

شميثس : ألم أقل لك هذا ؟

أيزينرينج : ولكنه لم يشر إلى طعام الإفطار بكلمة واحدة .

شميتس : لم يتصرف على هذا النحو من قبل قط .

(أيزينرينج يدس يده فى جيب البنطلون)

أيزينرينج : هل معك كبسولة الإشعال ؟

(شميتس يدس يده فى جيبه)

شميتس : لم يتصرف على هذا النحو من قبل قط .

الكورس : شعاع الشمس

يا رمش العين الإلهية

أضئ مرة أخرى بنورك

نهاراً

سقف المدينة الأليفة .

رئيس الكورس : اليوم كالأمس .

الكورس : سلام علينا .

رئيس الكورس : لم يقع للمدينة النائمة شيء .

الكورس : سلام علينا .

رئيس الكورس : لم يقع شيء حتى الآن ..

الكورس : سلام علينا .

(تنتهى إلى الأسماع أصوات ضجيج المرور وآلات تنبيه السيارات

والترام)

رئيس الكورس: والإنسان

عندما يفكر ويتدبر ما يرى
يكون واعياً ماهراً قادراً على مجابهة كثير من الأخطار .
إذ يلحظ بعقل نبيه
دلائل الكارثة

قبل فوات الأوان .. عندما يشاء .

الكورس : وماذا تكون الحال إذا هو لم يشأ ؟

رئيس الكورس: إذا هو قرأ الصحف

ليعرف أخبار الخطر الوشيك

كل يوم ساعة الإفطار ،

وهاج وماج لحدث بعيد

إنه يتلقى كل يوم فيما يقرأ تعليقات

توفر عليه التفكير .. فلا يفكر هو بذاته

ويعرف اليوم ما قد جرى بالأمس ،

فهو لا يستطيع إلا على نحو عسير

أن يفهم حقيقة ما يجرى

تحت سقف بيته هو .

الكورس : ما لم تنشره الجرائد .

رئيس الكورس: وهو واضح كل الوضوح .

الكورس : عجيب غاية العجب .

رئيس الكورس : واقعى تمام الواقعية .

الكورس : إنه يكره أن يعرف حقيقته ، لأنه لو عرفها .

(رئيس الكورس يقطع كلام الكورس بحركة من يده)

رئيس الكورس : ها هو ذا قد أتى .

(يتجه الكورس إلى الناحية الأخرى)

الكورس : لم يحدث شىء للمدينة النائمة

اليوم مثل الأمس ،

وحتى ينسى الخطر الداهم

يرتمى المواطن ،

حليق الذقن ناعم الخد ،

فى بحر التجارة .

(يظهر بيدرمين مرتدياً المعطف والقبعة ومتأبطا الحقيبة)

بيدرومن : تاكسى ؟ تاكسى ؟ تاكسى ؟

(الكورس يقف فى طريقه)

ماذا تريدون ؟

الكورس : آه !

بيدرومن : ماذا تريدون ؟

الكورس : آه !

بيدرومن : لقد قلت ذلك من قبل .

الكورس : آه ثم آه ثم آه ! ثلاث مرات .

بيدرومن : لماذا ؟

رئيس الكورس: شيء يشير الشك كل الشك .

فيما يبدو لنا

شيء سريع الالتهاب تكشف

لأبصارنا ولبصرك .

فكيف أفسره ؟

براميل مليئة بالوقود فوق هامة البيت .

(بيدرمين يصيح)

بيدرومن : ليس هذا من شأنكم .

(صمت)

دعوني أمرّ - لا بد أن أذهب إلى محام - ماذا يريدون مني ؟ أنا

بريء ..

(يبدو بيدرومن على هيئة من تملكه الخوف)

هل هذا تحقيق يجرى معي ؟

(يبدو بيدرومن على هيئة المطمئن اطمئنان السادة)

دعوني أمر ، هه .

(الكورس يقف ثابتاً لا يتحرك)

الكورس : لا يليق بالكورس قط .

أن يقوم قاضياً على مواطنين ممن يعملون .

رئيس الكورس: الكورس ينظر إلى الأشياء من الخارج - ذلك شأنه -

وهو لهذا يفهم على نحو أيسر ، ويتبين الخطر الداهم .

الكورس : متسائلاً في أدب فقط ،

وسط الخطر الذى يشير فينا الفزع
محذراً فقط ، آه ، ثابتاً ، والعرق يتفصّد منه بارداً ،
يقترب الكورس على النحو المعروف ،
فى وعى وعجزٍ معاً ، وبمؤازرة المواطن للمواطن
حتى يفوت أوان إطفاء الحريق ،
مثلما يفعل رجال فرقة الإطفاء .
(ينظر بيدرمين إلى ساعة يده)

بيدريمن : أنا مستعجل .

الكورس : آه !

بيدريمن : إننى فى الحقيقة لا أعرف ماذا تريدون .

رئيس الكورس : لقد سكّنت على البراميل ذات الوقود ،

يا جوتليب بيدريمن ، فما تفسيرك لذلك ؟

بيدريمن : تفسيري ؟

رئيس الكورس : أنت تعرف أن العالم ملتهبٌ ، قابل للاشتعال

يا جوتليب بيدريمن ، فماذا فكرت ؟

بيدريمن : فكرت ؟

(يستعرض الكورس)

إننى ، يا أيها السادة ، مواطنٌ حر . ولى أن أفكر فيما أشاء .

فماذا تريدون بهذه الأسئلة ؟ إن لى الحق ، يا أيها السادة ، فى

أن أمتنع عن التفكير كل الامتناع - هذا بغضّ النظر ، يا أيها

السادة ، عن أن ما يجرى ، يجرى تحت سقف بيتى - فأنا بعد

كل شيء ، وفى النهاية ، وفى آخر المطاف ، مالك البيت -
لابد أن أقول لكم هذا .

الكورس : تقدّست يا ذات القدسية
أنت أيتها الملكية
مهما ينجم عنك ويتأتى منك
مما يستحيل إطفاءه كل الاستحالة
ثم يحرقنا جميعاً فإلى فحم نصير :
تقدّست يا ذات القدسية .

بيدرمن : هكذا !

(صمت)

لماذا لا تدعونى أمر ؟

(صمت)

لا ينبغي على المرء أن يفكر دائماً فى أقبح الاحتمالات . إلام
تنتهى حالنا لو فكرنا دائماً فى أقبح الاحتمالات ؟ أنا أريد
راحتى وسلامى ، ولا أريد شيئاً آخر ، أما موضوع الرجلين -
فعلى الرغم من أننى الآن مشغول بهموم أخرى .

(تظهر بابيئة مرتدية المعطف والقبعة)

ماذا تريدان هنا ؟

بابيئة : هل أسبب لك إزعاجاً ؟

بيدرمن : أنا مشغول بمحادثات تجرى بين الكورس وبينى .

(بابيئة تومىء برأسها إلى الكورس ، ثم تهمس فى أذن بيدرمن)

بيدرمن : طبعاً بشريط وربطة وعقدة . التكاليف لا تهمنى ، الذى يهمنى
هو أن يكون إكليلاً من الزهور .

(تومىء بابيئة إلى الكورس برأسها)

بابيئة : لا مؤاخذه يا حضرات السادة .

(تبتعد)

بيدرمن : سأقول لكم كلمة واحدة ، باختصار ، يا حضرات السادة ، لقد فاض بى الكيل . يا لكم ولحديثكم الذى لا ينتهى عن مشعلى الحرائق . لقد فاض بى الكيل لدرجة أننى لم أعد أذهب إلى مائدتى المعهودة فى أية حانة . ألم يعد لدى الناس فى أيامنا هذه موضوع آخر للحديث سوى هذا الموضوع ؟ وإذا كنا سنعتبر كل إنسان - باستثنائنا نحن طبعاً - يا ساتر ، يا حفيظ من مشعلى الحرائق ، فكيف يمكن أن تتحسن الأحوال ؟

يا مغيث ! يا هو . لا بد للإنسان من شىء من الثقة ! لا بد للإنسان من شىء من النية الطيبة ! هذا هو رأى ، لا ينبغي أن يرى الإنسان الشر وحده دون ما سواه ، يا ساتر ، يا حفيظ ، يا مغيث ، يا هو ! ليس كل إنسان من مشعلى الحرائق ، هذا هو رأى . شىء من الثقة ، شىء من الـ ..

(فترة)

لا يمكن أن أخاف طوال الوقت .

(فترة)

أنتم تقصدون ما حدث فى هذه الليلة ، فهل تظنون أننى أغمضت عينا واحدة ؟ أنا لست من البلهاء يا حضرات السادة . بنزين يعنى بنزين . لقد قلبت فى ذهنى أشق الأفكار وأعسررها .. وطلعت فوق المنضدة ، ووقفت عليها مرهفاً السمع أتصنت على ما يجرى فوقى ، ثم طلعت بعد ذلك فوق الدولاب ، حتى ألصق أذننى على سقف الحجرة ، إلى هذا الحد . طبعاً كانا

نائمين يشخران ، نعم كانا يشخران ، طلعت فوق الدولاب أربع
مرات على الأقل ، كانا يشخران فى سلام وأمان وسكينة .
ولكنى لم أكتف بهذا . لقد ذهبت مرة إلى بير السلم ، ووقفت
فى بير السلم ، وأنا أرتدى - ولكم أن تصدقوا أو لا تصدقوا -
وأنا أرتدى البيجاما من شدة غضبى ، من فرط غيظى ، بل لقد
أوشكت على أن أوقظ الصعلوكين ، وعلى أن ألقى بهما إلى
قارعة الطريق - مع براميلهما كلها ! - بيدى هذه ، وفى غير
رحمة ، فى جوف الليل .

الكورس : بيديك ؟

بيدرمن : نعم .

الكورس : بلا رحمة .

بيدرمن : نعم .

الكورس : فى جوف الليل .

بيدرمن : أوشكت على هذا ، نعم ، لولا أن زوجتى أتت إلى لأنها خافت
أن أصاب بالبرد . كنت على وشك .

(يتناول سيجاراً من فرط ارتباكاه)

رئيس الكورس : أقول مرة أخرى : بماذا أفسر الحال .

لقد أمضى الليلة ساهراً لا تغمض له عين .

أما أن الرجلين يسيئان استغلال طيبة المواطن
فهل ترون ذلك يا ترى أمراً جديراً بالتفكير ؟

لقد تملكته الحماسة .. لماذا ؟

(بيدرمن يشعل سيجاره)

الكورس : الحق أن رجل المال والأعمال يحيا حياة صعبة .
ونعنى بالذات ذلك الذى تظهر فى التجارة قسوته
وله فيما عداها روح البشر
فهو المستعد عن طيب خاطر
لفعل الخير .

رئيس الكورس : حيث يجد أن فعل الخير يناسبه ، وفى صالحه .

الكورس : ويخطيء خطأ خطيراً

من يأمل فى الخير

الذى يصدر عن حسن النية و طيب الطوية .

بيدرمن : ماذا تريدون بهذا قولاً ؟

الكورس : كل ما فى الأمر أننا ظننا رائحة البنزين قد فاحت .

(بيدرمين يشمشم)

بيدرمن : فأنا إذن يا أيها السادة لا أشم شيئاً .

الكورس : آه لنا !

بيدرمن : لا أشم شيئاً على الإطلاق .

الكورس : آه لنا !

رئيس الكورس : لقد اعتاد على الرائحة الكريهة فلم يعد يشمها .

الكورس : آه لنا !

بيدرمن : ما بالكم تعودون دائماً إلى هذه الانهزامية ، أيها السادة ،

فتكررون وتعيدون : آه لنا .

(يأتى إلى السمع صوتٌ نغير سيارة)

تاكسى ! - تاكسى !

(يأتى إلى السمع صوت سيارة تقف)

بعد إذنكم .

(بيدرمين يهرول بعيداً)

الكورس : أيها المواطن - إلى أين ؟

(يتناهى إلى السمع صوت سيارة تنطلق)

رئيس الكورس : علامَ عقد النية الآن هذا المنحوس ؟

لقد لاح لى خائفا مرتبكاً شاحباً ؛

إذ لاذ بالفرار

مصمماً فى خوفٍ على شىء : ما هو ؟

(يأتى إلى السمع صوت نغير سيارة)

الكورس : لقد اعتاد على الرائحة الكريهة .

(صوت نغير السيارة أصبح بعيداً)

آه لنا !

رئيس الكورس : آه لكم !

(الكورس يخطو إلى الوراء ، إلا رئيس الكورس الذى يتناول غليونه)

رئيس الكورس : ما الذى يستطيع فعله

مَنْ يخشى التغير

أكثر من خشيته الكارثة ؟ .

لدرء الكارثة ؟

(يتبع الكورس)

المشهد الرابع

السندرة

(أيزينرينج بمفرده ، يعمل ، يحل خيطاً من الكبسولة ، ويصفر في
أثناء ذلك لحن ليلى مارلين . يقطع صغيره ليليل إصبع السبابة يريقه ،
ثم يخرج إصبع السبابة من الطاقة ليختبر شدة الريح .)

الحجرة :

(يدخل بيدرمين ومن ورائه بابيئه ، بيدرمين يخلع المعطف ويلقى
الحقيبة ، أما السيجار فيظل بين شفتيه .)

بيدريمن : افعلى ما قلت لك .

بابيئه : قلت أوزة ؟

بيدريمن : نعم أوزة .

(يخلع الكرافتة والسيجار لايزال بين شفتيه)

بابيئه : لماذا تخلع الكرافتة ياجوتليب ؟

(يعطيها الكرافتة)

بيدريمن : إذا أبلغت الشرطة عنهما ، عن الرجلين ، فإننى أجعلهما يقيناً

عدواً لى . وما هى الفائدة التى تعود علينا ؟! إنهما يستطيعان

بعود كبريت واحد - عود كبريت واحد - أن يشعلا النار في

بيتنا كله حالاً وما هى الفائدة التى تعود علينا ؟ أما إذا صعدت

إليهما ودعوتهما - إذا قبلنا دعوتى ..

بابيئة : فماذا تكون النتيجة ؟
بيدرمن : سنكون أصدقاء .
(يخلع سترته ويعطيها لزوجته ويذهب)
بابيئة : ليكن في علمك ، يا أنه ، أنك لن تغادري البيت مساء اليوم
لأننا ننتظر ضيوفا . أعدى المائدة من فضلك لأربعة أشخاص .

السندرة

(أيزينرينج يغنى أغنية ليللى مارلين . يقرع أحدهم الباب .)

أيزينرينج : ادخل .

(يستمر فى تصفير اللحن ، ولكن أحدا لا يدخل)

(يدخل بيدرمن وقد شمر كمّيه وأمسك السيجار بيده)

صباح الخير يا سيد بيدرمن .

بيدرمن : تسمح لى .

أيزينرينج : كيف نمت هذه الليلة ؟

بيدرمن : شكراً ، نمت نوماً رديئاً ، دونه نوم البؤساء .

أيزينرينج : وأنا أيضاً ، هذه أيام الخماسين .

(يستمر فى العمل بالخيط والكبسولة)

بيدرمن : لا أريد أن أعطلك .

أيزينرينج : العفو يا سيد بيدرمن ، أنت هنا فى بيتك .

بيدرمن : ولا أريد أن أحشر نفسى .

(يتناهى إلى السمع صوت هدير الحمام)

وأين صديقنا ؟

أيزينرينج : تقصد يويو ؟ إنه يؤدي عمله . يا له من كلب كسول ! تصور ..
إنه لم يكن يريد الخروج إلا بعد تناول الفطور . لقد أرسلته
ليحضر قشاً .

بيدرمن : ليحضر قشاً ؟ !

أيزينرينج : لأن القش يحمل الشرر إلى أبعد مدى .

(بيدرمن يضحك فى أدب وكأنه يضحك من نكتة خفيفة)

بيدرمن : ماذا كنت أريد أن أقول يا سيد أيزينرينج .

أيزينرينج : ربما كنت تريد أن تقول إنك تريد أن تلقى بنا إلى قارعة
الطريق ؟

بيدرمن : فى جوف الليل .. كانت حبوبى المنومة ، لعلمك ، قد فرغت
كلها عندما خطر ببالي أنه ليس لديكم هنا فوق مرحاض يا
حضرات السادة .

أيزينرينج : لدينا المزاب المتدلى من السطح .

بيدرمن : على راحتكم ، يا حضرات السادة ، على راحتكم . كل ما فى
الأمر أن موضوع المرحاض خطر ببالي ، وشغلنى طوال الليل .
ولعلكما تريدان استعمال الحوض أو الدش . يمكنكما ، إن
شئتما استخدام حمامى الخاص . وقد قلت لأنه أن تضع فوطاً
نظيفة لكما .

(أيزينرينج يهز رأسه)

لماذا تهز رأسك ؟

أيزينرينج : أين وضعها يا ترى ؟

بيدرمن : وضع ماذا ؟

أيزينرينج : هل رأيت كبسولة الإشعال ؟

(يبحث هنا وهناك)

لا تشغل بالك يا سيد بيدرمين بموضوع الحمام . صدّقنى
بيدريمن : ولعلك تعرف أن السجن كذلك لم يكن به حمام .
السجن ؟

أيزينرينج : ألم يحك لك يويو أننى أنا أيضاً قادم من السجن ؟
بيدريمن : لا .

أيزينرينج : ألم يشر إلى ذلك بكلمة واحدة ؟
بيدريمن : لا .

أيزينرينج : إنه يتحدث دائماً عن نفسه فقط . هناك أناس من هذا النوع :
لا يتحدثون إلا عن أنفسهم فقط . ولكن ما شأننا نحن . إذا
كان قد تعذب فى صباه ؟ هل تعذبت أنت يا سيد بيدرمين فى
صباك ؟ أنا : لا . كان فى مقدورى أن أدرس فى الجامعة ،
وأبى كان يريد لى أن أصبح من رجال القانون .

(يقف عند الطاقة ويتكلم مع الحمام)

(جود .. جود ... جود * .)

(بيدريمن يشعل سيجاره مرة أخرى)

بيدريمن : أنا يا سيد أيزينرينج لم أقم طوال الليل ، هل فى هذه البراميل
بنزين ، قل لى بصراحة ؟

أيزينرينج : أنت إذن لا تثق فىنا ؟

بيدريمن : أنا أسأل مجرد سؤال .

أيزينرينج : ما هو رأيك فىنا يا سيد بيدريمن ، بصراحة : ما هو رأيك بالضبط
فىنا ؟

بيدريمن : لا يصح يا صديقى أن تظن أننى لا أفهم المداعبة ، ولكن
طريقتكم فى المزاح طريقة لا بد أن أقول إنها ..

* صوت كلام أيزينرينج مع الحمام .

أيزينرينج : هذا شيء تعلمناه .

بيدرمن : ما هذا الذى تعلمتموه ؟

أيزينرينج : إن المزاح يحتل المركز الثالث بين وسائل الترمويه الممتازة . أما المركز الثانى فتحته النواحي العاطفية : الكلام الذى يحكيه صديقنا يوبو عن طفولته بين الحطّابين فى الغابة ، وملجأ الأيتام والسيرك وما إلى هذا وذاك . أما طريقة الترمويه الأكيدة التى لا تدانيها طرق أخرى فهى فى رأى الحقيقة الصريحة المجردة . شيء غريب ! شيء مضحك ! الحقيقة الصريحة المجردة لا يصدقها أحد !

الحجرة :

(أنه تقناد الأرملة كنيشتلينج التى تلبس السواد إلى داخل الحجرة)

أنه : تفضلى ، اجلسى .

(الأرملة تجلس)

ولكن إذا كنت أنتِ زوجة كنيشتلينج ، فلن تصلى إلى شيء ، فقد قال السيد بيدرمن إنه لا يريد أن تكون له بك أية صلة .

(تنهض الأرملة)

تفضلى ، اجلسى .

(الأرملة تجلس)

ولكن لا تمنى نفسك بشيء .
(أنه تخرج)

السندرة

(أيزينرينج يقف ويحرك يديه ببعض الأعمال ويدير من يقف ويدخن)

- أيزينرينج : لقد تأخر صاحبنا يويو طويلاً . أين هو يا ترى . ليس إحضار
القش عملية صعبة . عسى ألا يكونوا التقطوه ؟
- بيدرمن : التقطوه ؟
- أيزينرينج : ما الذى يضحك فى هذا ؟
- بيدرمن : إنك يا سيد أيزينرينج عندما تتحدث على هذا النحو تلوح لى
كأنك أتيت من عالم آخر . التقطوه ؟ كلمة أراها خلابة ، رائعة
. كأنك أتيت من عالم آخر . ولعلك تعرف أنه من النادر أن
يلتقطوا واحداً من محيطنا .
- أيزينرينج : لأن الناس فى محيطكم لا يسرقون قشاً ، هذا شيء واضح ياسيد
بيدرمن ، وتلك هى الفروق الطبقية .
- بيدرمن : كلام فارغ .
- أيزينرينج : لعلك لا تريد أن تقول يا سيد بيدرمن إن ..
- بيدرمن : أنا لا أؤمن بفوارق طبقية ، ولا بد أنك يا أيزينرينج قد شعرت
بذلك ، أنا لست من الطراز القديم . على العكس ، إننى أشعر

بخالص الأسى لأن الناس فى الطبقات الدنيا بالذات لا يكفون
عن الثثرة عن الفروق الطبقيه . ألسنا اليوم جميعاً ، فقراء
وأغنياء ، خلق الخالق ذاته ؟ والطبقة الوسطى أيضاً . ألسنا ،
أنت وأنا ، بشراً من لحم ودم ؟ لا أعرف يا سيدى ، هل تدخن
السيجار أنت أيضاً ؟

(يقدم إليه سيجارا ولكن أيزينرينج يهز رأسه)

وأنا لست من أنصار التسوية بين الناس بطبيعة الحال ، سيكون
هناك فى كل زمان من يتصفون بالمهارة ومن يفتقرون إلى المهارة ،
والحمد لله على ذلك ، ولكن لماذا لا نمد أيدينا بعضنا إلى
البعض الآخر ؟ إن الأمر لا يحتاج إلا إلى شىء من حسن النية ،
سبحان الله يا سيدى ، إلى شىء من المثالية ، شىء من الـ ..
وبهذا ننعم جميعاً بالطمأنينة والسلام ، فقراء وأغنياء ، ألا ترى
أنت أيضاً هذا الرأى ؟

أيزينرينج : إذا سمحت لى بأن أتكلم بصراحة يا سيد بيدرمين .

بيدريمن : بل أنا أرجو أن تتكلم بصراحة .

أيزينرينج : فإذا تكلمت بصراحة تعدى بألا تحملها محملاً سيئاً ؟

بيدريمن : كلما زدت فى الصراحة كان ذلك أفضل .

أيزينرينج : أنا من رأى - بصراحة - أنه لا ينبغى لك أن تدخن هنا .

(بيدريمن يرتاع ويطفىء السيجار)

ليس من حقى أن أصدر إليك أوامراً يا سيد بيدريمن ، فالبيت أولاً
وأخيراً بيتك ، ولكنك تفهم .

بيدريمن : هذا شىء بديهى .

(أيزينرينج ينحنى)

أيزينرينج : ها هي ذى .

(يلتقط شيئاً من الأرض وينفخ فيه لينظفه قبل أن يثبت الخيط به -

ويعود إلى تصفير لحن ليللى مارلين)

بيدرمن : قل لى يا سيد أيزينرينج: ما هذا الذى تعمله طوال الوقت؟ هل

تسمح لى بأن أسألك : ما هذا ؟

أيزينرينج : كبسولة الإشعال ..

بيدرمن : - ؟

أيزينرينج : وهذا هو خيط الإشعال ، الفتيل .

بيدرمن : - ؟

أيزينرينج : هناك أصناف أفضل من هذا الصنف موجودة حالياً ، على ما

يقول يويو . ولكننا لم نعثر عليها فى مخازن الذخيرة ، وليس فى

مقدورنا أن نشتريها . كل شىء يتصل بالحرب باهظ الثمن ،

وفائق الجودة .

بيدرمن : هل قلت إن هذا خيط إشعال ؟

أيزينرينج : خيط إشعال من النوع الذى يحدث فرقة .

(يقدم إلى بيدرمين طرف الخيط)

أمسك هذا الطرف يا سيد بيدرمين من فضلك ، حتى أتمكن

من القياس .

(بيدرمين يمسك الخيط)

بيدرمن : دعنا من المزاج يا صديقى .

أيزينرينج : لحظة واحدة من فضلك .

(يصفر لحن ليللى مارلين ويقيس خيط الإشعال)

شكراً يا سيد بيدرمين . شكراً جزيلاً .

(بيدرمين لا يستطيع حبس الضحك)

بيدريمن : لا يا قليلي ، أنا لست ممن تستطيع الضحك عليهم ، أنا : لا ! ولكني لا بد أن أقول لك إنك تُعَوِّل كثيراً على قدرة الآخرين على فهم النكتة ، كثيراً جداً ، وأنا من السهل أن أتصور أنهم يلقون القبض عليك من حين لآخر عندما تتكلم هذا الكلام ، ليس لجميع الناس ، يا صديقي ، ليس لجميع الناس ما لدى من قدرة على فهم النكت .

أيزنرينج : وينبغي على الإنسان أن يعرف كيف يختار الناس .

بيدريمن : فالذين يجلسون إلى مائدتي المعهودة في الحانة على سبيل المثال يتصورون الويل والشور وعظائم الأمور ، يتصورون سدوم وعامورة عندما يقول الإنسان لهم مثلاً إنه يؤمن بما في البشر من طيبة .

أيزنرينج : يا ..

بيدريمن : هذا إلى أنني نفحت رجال المطافئء عندنا مبلغاً من المال لا أريد ذكر مقداره .

أيزنرينج : يا ...

(يمد خيط الإشعال)

وقد يخفف عنك أن تعلم أن الناس الذين يفهمون النكتة ينتهون إلى ما ينتهي إليه الآخرون من ضياع عندما يحين الحين .

(بيدريمن لا يستطيع الاستمرار في الوقوف ، فيجلس فوق برميل والعرق

يتفصد منه)

ماذا بك يا سيد بيدرمين ؟ ماذا بك ؟ ما هذا الشحوب الشديد ؟!

(يربت على كتفه)

أنا أعرف مابك ... هذا هو تأثير هذه الرائحة على من لم يعتد عليها ، رائحة البنزين ، سأفتح نافذة .
(أيزينرينج يفتح الباب)

بيدرومين : شكراً

(أنه تنادى فى بيدرومين)

أنه : يا سيد بيدرومين . يا سيد بيدرومين .

أيزينرينج : هل عاد البوليس يا ترى ؟

أنه : يا سيد بيدرومين .

أيزينرينج : فماذا تكون هذه الدولة إن لم تكن دولة بوليسية .

أنه : يا سيد بيدرومين .

بيدرومين : حاضر .

(يدور الحديث همساً)

يا سيد أيزينرينج ، هل تحب الأوز ؟

أيزينرينج : الأوز ؟

بيدرومين : الأوز ، نعم ، الأوز .

أيزينرينج : أنا ؟ أحب ؟ لماذا ؟

بيدرومين : محشواً بأبى فروة .. بالمارون .

أيزينرينج : ومعه الكرنب الأحمر ؟

بيدرومين : نعم لقد أتيت أصلاً لأقول لك ، إننا ، زوجتى وأنا ، وعلى

الأخص أنا ، أنا فكرت ، مجرد تفكير ... إذا أحببت ، إذا راقك

.... أنا لا أريد أن ألح .. إذا أحببت ، يا سيد أيزينرينج أن تأتى

لتناول عشاء لطيف ، أنت ويويو ..

أيزينرينج : اليوم ؟
بيدرمن : هل تفضل غداً ؟
أيزينرينج : أظن أننا لن نكون هنا غداً . أما اليوم فبكل سرور يا سيد بيدرمن ،
بيدرمن : إذن فسنكون في انتظاركما في الساعة السابعة .
(أنه تنادى في بير السلم)
أنه : يا سيد بيدرمن .
(بيدرمن يصافح أيزينرينج)
بيدرمن : اتفقنا ؟
أيزينرينج : اتفقنا .
(بيدرمن ينصرف ، ويقف بالباب مرة أخرى ويهز رأسه على نحو وديّ
وهو يلقي نظرة جامدة إلى البراميل وخط الإشعال)
اتفقنا .
(بيدرمن يخرج ، وأيزينرينج يستمر في العمل وهو يصفر . يتقدم
الكورس وكأن المشهد قد انتهى . ولكن في اللحظة التي يجتمع فيها
الكورس عند حافة المسرح تحدث جلبة في السندرة : فقد وقع هناك
شيء .)

السندرة

أيزنرينج: يمكنك أن تخرج الآن يا دكتور .

(شخص ثالث يخرج زاحفاً من بين البراميل . هذا الشخص يلبس

نظارة)

لقد سمعت الحديث . نحن ، يويو وأنا ، مدعوان لتناول طعام العشاء ، أما أنت فستبقى هنا للحراسة . لا تدع أحداً يدخل هنا ويدخن . مفهوم ؟ إلى أن يحين الحين .

(الشخص الثالث يمسح نظارته)

إننى أتساءل أحياناً يا دكتور عما عمله أنت عندنا أصلاً مادمت لا تحب الحرائق والشرر وألسنة اللهب المضطربة وأبواق عربات الحريق التى تأتى دائماً بعد فوات الأوان ، ونباح الكلاب ، والدخان وصياح الناس - والرماد .. ولا تتمتع بها .

(الثالث يلبس نظارته . إنه صامت جاد . أيزنرينج يضحك .)

مصلح ! يريد إصلاح أحوال الدنيا !

(يصفر برهة لنفسه دون أن ينظر إلى الدكتور)

أنا لا أحبكم أيها الأكاديميون ، وأنت تعرف ذلك ، ولقد قلت لك على الفور : إن الإنسان لا يجد المتعة فيما يعملون ، فأنتم دائماً إيديولوجيون ، جادون ، ولا تزالون هكذا حتى يصل الأمر إلى الخيانة - لا ، إن الإنسان لا يجد متعة حقيقية فيما يعملون .

(يقوم بأعمالٍ بيديه ويستمر فى الصفير)

الكورس : نحن مستعدون .

الخراطيم بدقة لففناها .

الخراطيم الحمراء ،

وكل شيء حسب التعليمات

يلمع ويرق ،

وكل بكرة من النحاس الأصفر

زيتناها بدقة وشحنناها ،

وكل منا يعرف واجبه .

رئيس الكورس : إلا أن الجو للأسف جو خماسيني .

الكورس : كل منا يعرف واجبه .

والمضخة لامعة ولها بريق ، فحصناها بدقة ،

حتى يصل الضغط إلى منتهاه في المضخة

وهي أيضاً من النحاس الأصفر .

رئيس الكورس : وحنفيات الحريق ؟

الكورس : كل منا يعرف واجبه .

رئيس الكورس : نحن مستعدون .

(تأتي بابتئته ممسكة بأوزة . كذلك يأتي معها الدكتور المتخصص في

الفلسفة)

بابيئة : نعم يا دكتور ، نعم ، فهمت يا دكتور ، ولكن زوجي يا دكتور ، نعم إنه موضوع عاجل ، يا دكتور ، موضوع عاجل ، فهمت ، سأقول له .

(تترك الدكتور وتذهب إلى مقدمة المسرح)

زوجي طلب أوزة ، تفضلوا ، هاهي ذى . وطلب إليّ أن أشويها حتى نصبح وهؤلاء أصدقاء .

(يتنهي إلى السمع صوت أجراس الكنيسة تدق)

هذه هي ليلة الأحد كما تسمعون ، ولست بمستطاعة التخلص من هاجسٍ سخيف يقول لى إن هذه المرة قد تكون هي المرة الأخيرة التى تدق فيها هكذا أجراس مدينتنا ..

(بيدرمن ينادى بابيئة)

إننى ، أيتها السيدات ، لست مطمئنة إلى أن جوتليب على حق دائماً . لقد قال لى مرة : إن هؤلاء بطبيعة الحال صعاليك ، ولكننى يا بابيئة إذا ناصبتهم العداء أعرض دهان الشعر الذى أنتجه للضياع . وما كاد يدخل عضواً فى الحزب .

(بيدرمن ينادى على بابيئة مرة أخرى)

هذه هي حاله دائماً . إننى أعرف زوجي جوتليب تمام المعرفة . هذه هي حاله دائماً . قلبه طيب أكثر مما ينبغى ، آه ، قلبه طيب أكثر مما ينبغى .

(بابيئة تنصرف معها الأوزة)

الكورس : رجل يلبس نظارة ،
سليل بيت طيب على الأرجح ،

لا يعرف الحقد ،
ولكنه واسع الاطلاع ، على ما يبدو ، وشاحب الوجه .
لم يعد يأمل على الإطلاق فى أن يتفتق الخير
عن طيبة القلب ،
فعزم على القيام بأى عمل ؛
لأن الغاية (على ما يأمل) تبرر الوسيلة
آه !

إنه هو الآخر يأمل ... آخذاً بالطيبة وبغير الطيبة معا .
ينظف النظارة حتى يكون بعيد النظر ،
فلا يرى فى البراميل المليئة بالوقود
وقوداً .

إنه يرى الفكرة ويظل هكذا
حتى تتأجج النيران .

الدكتور : مساء الخير .

رئيس الكورس: إلى الخراطيم هياً .

إلى المضخة .

إلى السلالم .

(يجرى رجال المطافئ إلى أماكنهم)

رئيس الكورس: مساء الخير .

(إلى الجمهور بعد أن تناهت إلى أسماعه صيحات الاستعداد من كل

مكان)

نحن مستعدون .

المشهد الخامس

الحجرة

(أرملة كنيشتلينج لا تزال بالحجرة ، واقفة . تأتي إلى السمع أصوات
الأجراس تدق عالية جداً . أنه تعد المائدة وييدرمين يأتي بكرسيين
وثيرين)

بيدريمن : ولما لم يكن لدى وقت ، كما ترين يا مدام كنيشتلينج ، أقول :
لما لم يكن لدى وقت للاهتمام بالموتى ، إذا صح هذا التعبير ،
فعليك أن تذهبي إلى محامي .
(أرملة كنيشتلينج تنصرف)

إن الإنسان لا يسمع الكلمات التي ينطق بها ، يا أنه أقفلى
النافذة .

(أنه تقفل النافذة ، دقات الأجراس تخفت)

أنا قلت لكم : عشاء بسيط خفيف في جو ودي أليف ، فما
معنى هذين الشمعدانين السخيفين .

أنه : إننا نستخدمهما دائماً يا سيد بيدريمن .

بيدريمن : أنا أقول وأكرر : عشاء بسيط خفيف في جو ودي أليف ، كل
شيء إلا الأبهة . يا للمصيبة ! آنية للماء ! وما هذه القواعد التي
تحمل السكاكين ، كل شيء من الفضة ، كل شيء من
الفضة والكريستال ، لا شيء غير الفضة والكريستال . ماذا
سيكون الانطباع الذي تحدثه هذه الأشياء ؟ !
(يجمع قواعد السكاكين ويدسها في جيب بنطلونه)

إنك ترين يا أنّه أننى لبست أقدم سترة عادية عندى ، أما أنت ...
يمكنك أن تدعى هنا سكين تقطيع الطيور الكبيرة ، يا أنّه ،
فسنحتاج إليها ، أما كل ما عداها ، فأبعديه . أبعدى الفضة
كلها ، لا بد أن أن يحس الرجلان كأنهما فى بيتهما .. أين
بريمة فتح الزجاجات ؟

أنّه : ها هى ذى .
بيدرمن : أليس لدينا بريمة أبسط من هذه ؟
أنّه : عندنا فى المطبخ بريمة أخرى ولكنها صدئة .
بيدرمن : أحضرها .

(يرفع من المائدة دلواً فضياً)

ماذا يعمل هذا الدلو هنا ؟

أنّه : للنبيذ .
بيدرمن : من الفضة .

(يحمل فى الدلو ثم فى أنّه)

هل كان هذا الدلو عندنا دائماً ؟

أنّه : إننا نحتاج إليه يا سيد بيدرمن .
بيدرمن : نحتاج إليه ! ما معنى نحتاج إليه ؟ إنما نحتاج إلى الإنسانية ،
إلى الأخوة . أبعديه - يا للمصيبة . وما هذه أيضاً ؟

أنّه : فوط سفرة !
بيدرمن : من قماش الداماست ، الغالى .
أنّه : ليس لدينا غيرها .

(يجمع الفوط ويدسها فى الدلو الفضى)

بيدرمن : هناك أم بأسرها تعيش بدون فوط سفرة ، أناس مثلنا -
(تدخل بابيته حاملة باقة كبيرة من الزهور ، لا يلحظها بيدرمين على

الفور ، لا يزال أمام المائدة)

بل إننى أتساءل عن مفرش السفرة ، فيم نحتاج إليه -

بابيته : يا جوتليب ؟

بيدرمن : كل شيء إلا الفروق الطبقية .

(يرى بابيته)

وما هذا الإكليل ؟

بابيته : إنه الإكليل الذى طلبناه من محل الزهور . تصوّر يا جوتليب

أنهم أرسلوه إلينا هنا . أرسلوه إلى هنا على الرغم من أننى
كتبت لهم العنوان بنفسى ، عنوان كنيشتلينج ، كتبتة واضحاً
كل الوضوح ، لقد عكسوا كل شيء ، الشريط عكسوه ، وكل
شيء عكسوه .

بيدرمن : الشريط ، كيف ذلك ؟

بابيته : بل إنهم ، كما قال الصبى الذى أحضر الإكليل ، أرسلوا ورقة

الحساب إلى زوجة كنيشتلينج .

(تربه الشريط)

« إلى روح المرحوم جوتليب بيدرمين الذى لن ننساه أبداً الدهر » .

(يتأمل الشريط)

بيدرمن : لا يمكن أن نقبل هذا الكلام ، لا يمكن . لابد أن يغيروه -

(يعود إلى المائدة)

أرجوك يا بابيته لا تشرى أعصابى الآن فأنا مشغول بأمور أخرى .

يا حفيظ ! يا رب ! ليس فى إمكانى أن أكون فى كل مكان
فى وقت واحد .

(بابيته تتصرف بالإكليل)

إذن فلنرفع المفرش . ساعديني يا آله ، هه . وكما قلت لك . لا
تدورى بالطعام على الجالسين ، ولا تتصرفى على نحو متكلف
معقد . بل ادخلى بكل بساطة ، وبدون أن تفرعى الباب ،
ادخلى بكل بساطة ، على سجيته ، وضعى الطاسة على المائدة ؟
آله : الطاسة ؟

(يرفع مفرش المائدة)

بيدرمن : الجو تغير فى لمح البصر . ما رأيك ؟ منضدة خشبية ، ولا شىء
غيرها ، مثل منضدة العشاء الأخير .

(يعطيها المفرش)

آله : وما هو النبيذ الذى تحب أن أحضره يا سيد بيدرمن ؟

بيدرمن : سأحضره أنا بنفسى .

آله : يا سيد بيدرمن .

بيدرمن : ماذا تريدن ؟

آله : ليس عندى بلوثر بالشكل الذى وصفته لى يا سيد بيدرمن ،
« بلوثر » بسيط يظن من يرانى أرتديه أنتى من أفراد الأسرة .

بيدرمن : خذى « بلوثر » من دولاب زوجتى .

آله : هل آخذ الأصفر أم الأحمر ؟

بيدرمن : المهم ألا يبدو عليك التعقيد والتكلف . لا أريد هذه الطاقية التى
على رأسك ولا المريلة التى حول وسطك . مفهوم ؟ وأبعدى
عنى هذين الشمعدانين ، كما قلت لك من قبل ، وتصرفى
بصفة عامة يا آله فى الحجرة حتى لا تبدو منظمة مرتبة .

سأنزل الآن إلى مخزن النبيذ أسفل البيت .

(بيدرمن ينصرف)

أَنَّهُ : « تصرفى فى الحجرة حتى لاتبدو منظمة مرتبة » .
(تلقى بمفرش السفرى بعد أن طوته فى ركن من الأركان وتدوسه
بقدميها)

أَنَّهُ : تفضل !
(يدخل شميّس وأيزينرينج وكل منهما يمسك فى يده وردة)
الاثنان : مساء الخير يا آنسة .

(أنه تخرج دون أن تنتظر إليهما)
أيزينرينج : لماذا لم تجد قشاً ؟
شميّس : لأنهم صادروه ، بأمر الشرطة ، كإجراء وقائى . وهم يعتقلون
من يشتري أو يحوز قشاً ، دون تصريح من البوليس .. إجراء
وقائى فى الدولة كلها .
(يمشط شعره)

أيزينرينج : ألا يزال معك بعض أعواد الثقاب ؟
شميّس : لا .
أيزينرينج : ولا أنا .

(شميّس ينفث فى المشط لينظفه)
شميّس : لا مفرّ من أن نرجوه أن يعطينا بعض أعواد الثقاب .
أيزينرينج : بيدرمن ؟
شميّس : ولا يصح أن ننسى .
(يدسّ المشط فى جيبه ويشمشم حواليه)

الله ! رائحة الطعام الذكية .

(بيدرمن يتقدم إلى صدر المسرح حاملاً زجاجة نبيذ بين ذراعيه)

بيدرمن : يمكنكم يا حضرات السادة أن تظنوا بي ما تشاءون من الظنون .
ولكن أجيئوا على سؤال واحد أوجهه الآن اليكم .

(تنتهي إلى السمع صيحات مختلطة وضحكات)

إننى أقول فى نفسى إنهم طالما استرسلوا فى الصخب والسكر فلا يقدمون على فعل أشياء أخرى .. من كان يصدق أننى أقدم إليهما أفضل ما فى مخزوني من أنواع النبيذ ؟!

لو قال لى هذا أحد من الناس قبل أسبوع ، ماذا كنت أظن به .
صارحونى بالحقيقة ، منذ متى (بالضبط) تعرفون أيها السادة
أنهما من مشعلى الحرائق ؟ هذه المعرفة لا تأتى هكذا دفعة
واحدة ، كما تظنون يا حضرات السادة ، بل تأتى ببطء وفجاءة
... أما الشك ، أما الشك فقد ساورنى على الفور يا حضرات
السادة ، والشك يساور الإنسان دائماً - ولكنى أطالبكم بأن
تقولوا لى الحقيقة : ماذا كنتم ستفعلون بربكم لو كنتم فى
مكاني ؟ ومتى ؟

(يرفف السمع . السكون مطبق)

لابد أن أصعد إليهما .

(ينصرف مسرعاً)

المشهد السادس

الحجرة

(وليمة الأوزة على أشدها ، ضحكات وبخاصة من بيدرمين الذى لا يزال يحمل زجاجات النبيذ . إنه يضحك بشدة للنكتة التى قيلت ، ولا يستطيع تمالك نفسه من فرط الضحك . بابيئة هى الوحيدة التى لا تضحك على الإطلاق)

بيدرمن : كنسة الخياط ! هل سمعت ماذا قال ؟ لقد قال : كنسة الخياط ، قال إن كنسة الخياط تشتعل أفضل من القش .
بابيئة : ولماذا تراها نكتة ؟
بيدرمن : إنه يقول كنسة الخياط ألا تعرفين ما هى كنسة الخياط ؟
بابيئة : أعرفها : الخيوط والقصاصات التى يرميها الخياط .
بيدرمن : أنت لا تفهمين النكتة يا حبيبتي !
(يضع الزجاجاة على المائدة)

ماذا يفعل الإنسان يا أصدقائي إذا كان هناك من لا يفهم النكتة ؟

بابيئة : اشرح لى النكتة .
بيدرمن : أشرحها لك ، فيللى قال لى صباح اليوم أنه أرسل يويو ليسرق قشًا ، طبعًا أنت تفهمين ما هو القش ؟ ولقد سألت أنا الآن

يويو : ما هي أخبار القش ؟ فردّ علىّ بقوله : إنه لم يستطع الحصول على قش فأحضر بدلاً منه كنسة الخياط . هل فهمت ؟ والأدهى من ذلك أن فيللى قال : إن كنسة الخياط تشتعل أحسن من القش بكثير .

باييتّه : كل هذا فهمته .

بيدرمن : نعم ؟ كل هذا ؟

باييتّه : وما هي النكتة في هذا ؟

(بيدرمن يتركها وشأنها)

بيدرمن : هيا بنا نشرب أيها السادة !

(بيدرمن يفيض سداة الزجاجاة)

باييتّه : هل صحيح يا سيد شमितس أنكم أحضرتم كنسة الخياط ووضعتموها في السندرة ؟

بيدرمن : بل أقول لك ما ستضحكين منه يا باييتّه ، لقد اشتركنا قبل ظهر اليوم ، فيللى وأنا ، في قياس خيط الفتيل .

باييتّه : خيط الفتيل ؟

بيدرمن : وهو خيط فتيل من النوع الذى يحدث فرقعة .

(يملأ الكؤوس)

باييتّه : هيا بنا الآن يا حضرات السادة نتكلم كلاماً جاداً : ما معنى هذا كله ؟

(بيدرمن يضحك)

بيدرمن : كلاماً جاداً ! إنها تقول : كلاماً جاداً ! هل سمعتم ماذا قالت ؟ الكلام الجاد .. هو ألا تنخدعى يا باييتّه ، ألا تدعى أحداً يسخر منك ، فإن أصدقاءنا لهم طريقتهم الخاصة في المزاح .. وأنا

أقول دائماً كل شيخ له طريقة ، وكل طائفة من الطوائف لها أسلوبها في النكت والطرائف . لم يعد باقياً من نكت أصحابنا هؤلاء إلا أن يرجوني أحدهم أن أعطيه أعواد الثقاب .

(شميّس وأيزينرينج يتبادلان نظرة)

أصل الموضوع أن السيدين لا يزالان يعتبرانني من محدثي النعمة الخوافين الذين لا يفهمون المزاح ، ويريدان ، أفهمي قصدهم الحقيقي يا سيدتي ، يريدان أن يدخلوا الروح في نفسي .

(يرفع كأسه)

في صحتكم .

أيزينرينج : في صحتك .

شميّس : في صحتك .

(يتقارعون الكؤوس)

بيدرمن : في صحة صداقتنا .

(بشربون ويعودون إلى الجلوس)

إننا يا سادتي لا نحمل الطعام في بيتنا إلى كل شخص ، كل واحد يمد يده بكل بساطة .

شميّس : لقد أكلت كثيراً ولا أستطيع المزيد .

أيزينرينج : لا تخجل ، فأنت لست هنا في ملجأ الأيتام يا يويو . لا تخجل .

(يأخذ قطعة من الأوزة)

إن أوزتك يا سيدتي ممتازة ، أوزة من الطبقة الراقية .

بابيئته : يسرني أن اسمع منك هذا .

أيزينرينج : أوزة ونبيد فرنسي أحمر « بومار » وليمة عظيمة لا بد لها في

الحقيقة من مفرش سفرة .

- بايئته : هل سمعت يا جوتليب ؟
- أيزينرينج : وإن لم يكن ضرورياً .. آه مفرش سفرة أبيض ، يا سلام ،
مصنوع من القماش الدمشقى ، تصطف فوقه ملاعق وشوك
وسكاكين من الفضة .
- بيدرمن : أنه .
- أيزينرينج : مفرش سفرة من القماش الدمشقى ، المزخرف بالورد ، الورد
الأبيض الذى يشبه قطرات المطر عندما تتجمد على صفحة
زجاج النافذة فى يوم من أيام الشتاء ، وإن لم يكن هذا ضرورياً
يا سيد بيدرمن ، ليس ضروريا . فلم يكن لدينا فى السجن
مفرش سفرة .
- بيدرمن : أنه .
- بايئته : فى السجن ؟
- بيدرمن : أين هى يا ترى ؟
- بايئته : هل كنت فى السجن ؟
- (أنه تأتى ، ترتدى ، بلوفر ، أحمر قانى)
- بيدرمن : هاتى مفرش سفرة حالاً .
- أنه : حالاً !
- أيزينرينج : وإذا كان لديكم شئ كآنية الماء التى يغسلون فيها أطراف
أصابعهم ..
- أنه : حالاً !
- أيزينرينج : لعلك تجدين تصرفنا هذا تصرفاً صبيانياً يا سيدتى ، ولكننا أناس
من عامة الشعب . يويو مثلاً ، الذى نشأ بين الحطابين ولم ير
فى حياته قاعدة سكنية ، وحلم حياته المضيعة هو أن يرى مثل
هذه المائدة وعليها الفضة والكريستال .

بايبيته : لدينا كل هذه الأشياء يا جوتليب .

أيزينرينج : ليس ضرورياً .

أنه : تفضلوا .

أيزينرينج : وإذا كان لديك يا آنسة فوط سفرة فهاتيها .

أنه : ولكن السيد بيدرم قال

بيدرومن : هاتيها .

أنه : تفضلوا .

(أنه تأتي بكل شيء كانت قد أبعدته)

أيزينرينج : أرجو ألا تؤاخذينا يا سيدتي ! هكذا الإنسان عندما يخرج من

السجن ، هكذا ، بعد أن يظل شهوراً بعيداً عن الحضارة .

(يتناول المفروش ويريه لشميتس)

أعرف ما هذا ؟

(يتجه إلى بايبيته)

إنه لم ير في حياته شيئاً كهذا .

(يعود إلى شميتس مرة أخرى)

هذا قماش دمشقي .

شميتس : فهمنا ؟ وماذا أعمل به ؟

(أيزينرينج يلف مفروش المائدة حول رقبة شميتس)

أيزينرينج : هكذا يستعملون مفروش السفرة .

(بيدرومن يجتهد في أن يجد هذه الحركة مضحكة ويضحك)

بايبيته : وأين قواعد السكاكين التي لدينا يا أنه ، قواعد السكاكين ؟

أنه : يا سيد بيدرومن ..

بيدرومن : هاتيها .

- أَنَّهُ : ولكنك قلت لى من قبل : ابعديها .
- بيدرمن : هاتيها قلت لك ، أين هي ؟ أعوذ بالله ! يا ساتر !
- أَنَّهُ : فى جيب بنطلونك الأيسر .
- (بيدرمين يدسّ يده فى جيبه فيجدها)
- أيزينرينج : بدون انفعال .
- أَنَّهُ : وما ذنبى أنا ؟ !
- أيزينرينج : بدون انفعال يا آنسه .
- (أَنَّهُ تتفجر باكياً ، تولول ، تلتفت إلى الخلف وتجري)
- أيزينرينج : هذا من تأثير الانقباض الذى تحدثه رياح الخماسين .
- (فترة)
- بيدرمن : هيا نشرب يا أصدقائى ، هيا بنا نشرب !
- (يشربون ويصمتون)
- أيزينرينج : كنت أكل الأوز كل يوم ، صحيح ، عندما كنت أعمل « جرسونا » . عندما كنت أجرى كالمسهم خلال الردهات الطويلة حاملاً الصحن على كفى . ولكن أين كان الواحد منا ينظف أصابعه يا سيدتى ؟ هذا هو السؤال . كان ينظفها فى شعره . أين ينظفها إن لم يمسحها فى شعره ؟ أما الآخرون فلهديهم أنية من الكريستال يترقق فيها الماء يغمسون فيها أصابعهم . هذا ما لن أنساه أبداً .
- (يغمس أصابعه فى أنية غسيل الأصابع)
- هل تعرف الجرح النفسى ؟
- بيدرمن : لا .
- أيزينرينج : شرحوا لى معناه فى السجن ، هناك شرحوا لى معنى كل شىء .
- (يجلف أصابعه)

باييتّه : ولماذا دخلت السجن يا سيد أيزنرينج ؟
 بيدرمين : باييتّه !
 أيزنرينج : لماذا دخلت السجن ؟
 بيدرمين : لا يليق يا باييتّه ، هذا سؤال لا يصح توجيهه لأحد .
 أيزنرينج : أنا نفسى أتساءل .. كنت كما قلت لك ، أعمل « جرسوناً »
 .. « جرسوناً » من الدرجة الأولى ، على قدرى ، وفجأة خلطوا
 بين مشعل حريق كبير وبينى .
 بيدرمين : هكذا .
 أيزنرينج : وقبضوا علىّ وأنا فى بيتى .
 بيدرمين : هكذا .
 أيزنرينج : كنت مندهشاً لدرجة أننى وافقت على التهمة .
 بيدرمين : هكذا .
 أيزنرينج : وكنت سعيد الحظ يا سيدتى ، فقد وقعتُ فى أيدي سبعة من
 أظرف رجال الشرطة ، كانوا حقيقة غاية فى الظرف . عندما
 قلت لهم : والآن لابد أن أذهب إلى عملى . ليس لدى وقت ،
 قالوا لى : المؤسسة التى تعمل بها أكلتها النيران .
 بيدرمين : حرقت ؟
 أيزنرينج : بين عشية وضحاها على ما يبدو .
 باييتّه : حرقت ؟
 أيزنرينج : فقلت لهم : جميل . مادامت النيران قد أتت عليها فلدى وقت
 كانت مؤسستنا كلها قد استحالت إلى كومة من الخشب
 يتصاعد منها الدخان ، رأيته هكذا عندما مرت سيارة السجن
 بجوارها ، ونظرت إليها من خلال النافذة الصغيرة ذات القضبان
 الحديدية .

(يشرب النبيذ على طريقة العارفين)

بيدرمن : وماذا حدث بعد ذلك ؟

(أيزينرينج يحملق فى الورقة المصققة على زجاجة النبيذ)

أيزينرينج : كان عندنا هذا الصنف أيضاً : معصور سنة تسعة وأربعين ،
كاف دى ليشانون ، سألتنى : ماذا حدث بعد ذلك ؟ يويو لابد
أن يحكيه لك ، لقد كنت جالساً فى القاعة الخارجية أعبث
بالكلبشات ، وإذا بشيء عجيب يحدث ، إذا بهم يدخلون علينا
بشخص ، أتعرف من هو ؟
إنه هذا الرجل .

(شميّس يتهلل بشراً)

فى صحتك يا يويو .

شميّس : فى صحتك يا قيللى .

(بشريان)

بيدرمن : ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

شميّس : هل أنت مشعل الحريق ؟ سألوه هذا السؤال وقدموا إليه السجائر
فقال : لا مؤاخذه ليس لدى عيدان ثقاب أشعل بها السجائر
على الرغم من أنكم يا حضرة الضابط تزعمون أننى أشعلت
الحريق .

(يضحكان ضحكات عالية ويريت الواحد منهما على فخذ الآخر)

بيدرمن : هكذا !

(دخلت أنه وقد ارتدت الطاقة والمريلة مرة أخرى ، تقدم إلى بيدرمين

بطاقة يتطلع إليها)

أنه : إنه يقول إن الموضوع عاجل ولا يحتمل التأخير .

بيدرمن : حتى عندما يكون عندى ضيوف !

(شميّس وأيزينرينج يتقارعان الكؤوس)

شميتس : فى صحتك يا فيللى .
أيزينرينج : فى صحتك يا يويو .
(يشران ، بيدرمين يتأمل البطاقة)
بابيئه : ممن هذا يا جوتليب ؟
بيدرمن : من الدكتور نفسه ، دكتور الفلسفة .
(أنه تعمل شيئاً عند الدولار)
أيزينرينج : وما هذا الشيء الفضى هناك يا آنسة ؟
أنه : تقصد الشمعدانين ؟
أيزينرينج : ولماذا تخفوهما ؟
بيدرمن : هاتيهما .
أنه : ولكنك قلت يا سيد بيدرمين بنفسك ..
بيدرمن : هاتيهما قلت لك .
(أنه تضع الشمعدانين على المائدة)
أيزينرينج : ما رأيك يا يويو ؟ لديهم شمعدانات ويخفونها .
لم يعد ينقصك شيء ؟ فضة وفوقها شمع .. هل لديك عيدان
ثقاب ؟
(يدس يده فى جيب ينطلونه باحثاً)
شميتس : أنا ؟ ليس معى .
(يدس يده فى جيب ينطلونه)
أيزينرينج : ليس لدينا للأسف عيدان ثقاب يا سيد بيدرمين ، صحيح .
بيدرمن : أنا عندى .
أيزينوينج : هاتها .
بيدرمن : أنا سأشعلهما بنفسى ، لا تتعب نفسك . أنا سأشعلهما .
(يشعل الشموع)

بابيئة : ماذا يريد ذلك السيد بالضبط ؟
 أنه : أنا لا أفهم كلامه يا سيدتي ، إنه يقول إنه لا يستطيع الاستمرار
 في السكوت ويقول إنه سينتظر في بير السلم .
 بابيئة : على انفراد ؟ هو قال لك إنه يريد أن تكون المحادثة على انفراد ؟
 أنه : نعم ، وهو يكرر دائماً أنه يريد أن يكشف الغطاء عن أشياء مهمة
 بابيئة : عن أية أشياء ؟
 أنه : لم أفهم كلامه يا سيدتي على الرغم من أنه كرره مائة مرة ، إنه
 يقول إنه يريد أن يتبرأ من ...

(شموع كثيرة تضيء)

أيزينرينج : إنها تعطى على الفور انطباعاً آخر مختلفاً كل الاختلاف . ألا
 ترين أنت أيضاً هذا الرأي يا سيدتي ؟ هذه الشموع والضوء
 الذي تنشره بالإنجليزية يسمونه « كاندل لايت » .

بابيئة : آه بالضبط . الجو ..
 أيزينرينج : وأنا أحب الجو ..
 بيدرمين : يا سلام يا سيد أيزينرينج ، شيء يسعدني ..

(كل الشموع تضيء)

أيزينرينج : لا يا شميثس ، لا تمضغ بصوت عالٍ .
 (بابيئة تنتحي بأيزينرينج جانباً)

بابيئة : دعه على راحته .
 أيزينرينج : إنه لا يحسن السلوك يا سيدتي ، لا مؤاخذه . شيء فظيع ،
 شيء أليم بالنسبة إليّ .. ولكن من أين له بالسلوك اللائق ؟ !
 من كوخ الخطابين إلى ملجأ الأيتام .

بابيئة : أعرف ذلك .
 أيزنرينج : ومن ملجأ الأيتام إلى السيرك .
 بابيئة : أعرف ذلك .
 أيزنرينج : ومن السيرك إلى المسرح .
 بابيئة : لا ، لا أعرف حكاية المسرح هذه ، ولم أسمع بها .
 أيزنرينج : دنيا يا سيدتى ! أيام ! أقدار !
 (بابيئة تتجه إلى شميتس)
 بابيئة : أنت أيضاً اشتغلت فى المسرح ؟
 (شميتس ، يعرض ، فى ذلك أوضة ويهز رأسه)
 أين ؟
 شميتس : فى الظل .
 أيزنرينج : على الرغم من موهبته ، يويو فى دور العفريت ، الشبح ، هل رأيت فى هذا الدور ؟ هيا ..
 شميتس : ليس الآن .
 أيزنرينج : لم لا ؟
 شميتس : اشتغلت فى المسرح شهراً فقط يا سيدتى ثم التهمه الحريق .
 بابيئة : الحريق !
 أيزنرينج : لا داعى للخجل !
 بيدرمن : التهمه الحريق ؟
 أيزنرينج : لا داعى للخجل !
 (يحل مفرش السفرة الذى كان شميتس يتخذه على صدره كالقوطة ويلقى به فوق رأس شميتس)
 هيا !

(شميّس يلتف بالمفرش الأبيض ، ينهض)

أُتّه : هه . ما رأيكم . أليس منظره كالعفريت ؟

أيزينرينج : أنا خائفة .

يا بنت !

(يطوق أته بذراعيه ، وهي تخفي وجهها بيديها)

شميّس : هل يمكننا ؟

أيزينرينج : هذه لغة مسرحية يا سيدتي ، تعلمها أثناء التجارب في أسبوع

واحد فقط ، قبل أن يأتي الحريق على المسرح ، شيء عجيب .

باييتّه : لا تتكلم دائماً عن الحريق والحرائق .

شميّس : هل يمكننا ؟

أيزينرينج : استعداد ... ابتديء .

(الجميع يجلسون ، أيزينرينج يضم أته إلى صدره)

شميّس : كل إنسان ! كل إنسان !

باييتّه : جوتليب ؟

بيدرمن : اسكتي ، هس .

باييتّه : رأيناها في زالتسبورج .

شميّس : بيدرمن ! بيدرمن !

أيزينرينج : رائع ، في رأيي أنه يمثل الدور تمثيلاً رائعاً .

شميّس : بيدرمن ! بيدرمن !

أيزينرينج : عليك الآن أن تسأله من أنت ؟

بيدرمن : أنا ؟

أيزينرينج : نعم ، وإلا فلن يستطيع الاستمرار في الكلام إلى نهايته .

شميّس : كل إنسان ، بيدرمن !

- بيدرمن : وأنا الآن أقول له : من أنا ؟
 باييتّه : لا . أنت تسأله هو عمن يكون .
 بيدرمن : آه ، هكذا .
 شमितس : ألا تسمعوننى ؟
 أيزينرينج : لا يا يويو ، من البداية مرة ثانية .
 (يغيرون الوضع)
 شमितس : كل إنسان ! بيدرمن !
 باييتّه : هل أنت - على سبيل المثال - هل أنت الموت ؟
 بيدرمن : كلام فارغ !
 باييتّه : فماذا يكون غير ذلك ؟
 بيدرمن : أنت تسالين : من أنت ؟ ومن الجائز أن يكون شبح هاملت ، أو الشبح المتحجر ، أنت تعرفينه . أو هذا الـ الـ ، نسيت اسمه : مساعد مكبث .
 شमितس : من ينادينى ؟
 أيزينرينج : استمر .
 شमितس : بيدرمن جوتليب !
 باييتّه : اسأله أنت ، إنه يوجه الكلام إليك .
 شमितس : ألا تسمعوننى ؟
 بيدرمن : من أنت ؟
 شमितس : أنا روح كنيشتلينج !
 (باييتّه تتنفض وتصرخ)
 أيزينرينج : قف !
 (ينزع مفرش السفرة الأبيض عن شमितس)

أنت غبى . ما كان يليق بك أن تفعل هذا . كيف تقول
كنيشتلينج ، هذا لا يليق فلم يدفن كنيشتلينج إلا اليوم .
شميتس : لهذا السبب اخترته .

(بابيته توارى وجهها بيديها)

أيزينرينج : لا ياسيدتى ، ليس هذا روح كنيشتلينج .

(يهز رأسه امتعاضاً مما فعله شميتس)

كيف يمكن أن تتجرد من الذوق إلى هذا الحد ؟

شميتس : لم يخطر ببالي سواه .

أيزينرينج : كنيشتلينج ، لم نجد غير كنيشتلينج ، مساعد السيد بيدرمين

القديم ، المساعد المخلص الذى دفن اليوم . تصور .. إنه لا يزال

جثة متماسكة ، شاحبة بيضاء مثل مفرش السفرة ، ناصعة لامعة

مثل القماش الدمشقى ، جثة جامدة متصلة باردة يمكن

وضعها قائمة دون أن تنثنى .

(يمسك بابيته من كتفها)

صدقينى يا سيدتى ، أقسم لك بشرفى أنه ليس روح

كنيشتلينج .

(شميتس يجفف عرقه)

شميتس : متأسف !

بيدريمن : هيا بنا نجلس .

أله : هل انتهى الآن كل شيء ؟

(يجلسون ، فترة من الحيرة)

بيدريمن : ما رأيكم الآن فى سيجار صغير أيها السادة ؟

(يقدم علبة سيجار)

أيزينرينج : غبى ! هانتذا ترى كيف يرتعش السيد بيدرمين .. شكراً يا سيد بيدرمين شكراً .. أم لعلك رأيت أنك بذلك تعرض شيئاً مضحكاً . وأنت تعرف تمام المعرفة أن كنيشتلينج مات منتحراً بالغاز بعد أن فعل صاحبنا جوتليب كل ما استطاع أن يفعله مع كنيشتلينج هذا . لقد أعطاه عملاً طوال أربع عشرة سنة . كنيشتلينج ، وهذا هو الجزاء .

بيدريمن : لنكف عن الحديث فى هذا الموضوع .

أيزينرينج : هذا هو جزاؤك على الأوزة !

(يعدان سيجارتين)

شميتس : هل أغنى شيئاً ؟

أيزينرينج : ماذا تغنى ؟

شميتس : « سرقت الأوزة يا ثعلب » .

(يرفع صوته بالغناء)

سرقت الأوزة يا ثعلب .

أعدّها إلينا ، أعدّها .

أيزينرينج : دع هذه الأغنية .

شميتس : أعدّها إلينا ، أعدّها ،

وإلا فالصياد وراءك

بنار سلاح قدر .

أيزينرينج : إنه سكران !

شميتس : بنار سلاح قدر .

أيزينرينج : لا تسمعيه يا سيدتى .

شميتس : أعدها إلينا أعدها

والا فالصياد وراءك

بنار سلاح قدر »

بيدرمن : ظريفة جداً عبارة « سلاح قدر » هذه .

الرجال جميعاً : « سرقت الأوزة يا ثعلب » .

(يغنون بأصواتٍ مختلفة الطبقات ، تارة بطبقة عالية ، وتارة بطبقة

منخفضة جداً ، وينوعون الغناء ما شاء لهم التنوع ، ضحكات . ابتلافاً

صاخب بين صخاب لا كلفة بينهم . سكون . بيدرمن يعاود الغناء

الصاخب . ويتزعم المرح حتى يبلغ المرح مداه وينتهي)

بيدرمن : والآن فى صحتكم !

(يرفعون الكؤوس ، تأتى إلى الأسماع أصوات صفارات الحريق

من بعيد)

ما هذا الذى سمعته ؟

أيزينرينج : صفارات الحريق .

بيدرمن : بدون مزاح .

بايبيته : مشعلو الحرائق ، مشعلو الحرائق .

بيدرمن : لا تصرخى هكذا .

(بايبيته تفتح النافذة بعنف ، تقترب صفارات الحريق مدوية على نحو

مفزع ، ثم تبتعد بسرعة)

ليس الحريق لدينا . . الحمد لله .

بايبيته : أين يمكن أن يكون الحريق يا ترى ؟

أيزينرينج : حيث تأتى رياح الخماسين .

بيدرمن : الحمد لله ليس الحريق عندنا ..
أيزينرينج : هكذا نفعل فى غالبية الأحوال : نَجْرُ المطافىء بعيداً إلى حى من
الأحياء الرخيصة خارج المدينة ، فإذا اشتعلت الحرائق بالفعل
وجدت طريق العودة موصداً .

بيدرمن : لا يا حضرات السادة ، بدون مزاح .
شميتس : هذا ما نفعله فعلاً بدون مزاح .
بيدرمن : كفى هذا الكلام الفارغ ، أرجوك . ينبغى أن يكون كل شىء
فى حدود الاعتدال . وأنت ترى أن زوجتى قد شحب لونها
حتى أصبح وجهها بلون الطباشير .

بابيئه : وأنت ؟
بيدرمن : أعنى بصفة عامة . صفارات المطافىء هى صفارات المطافىء .
ليس فيها ما يضحك منه الإنسان ، يا حضرات السادة ،
الموضوع لابد أن ينتهى إلى نهاية ، فى موضع ما ، فى موضع
ما شب حريق ، وإلا لما خرجت سيارات الإطفاء .

(أيزينرينج ينظر إلى ساعته)

أيزينرينج : لابد أن ننصرف الآن .

بيدرمن : الآن ؟

أيزينرينج : للأسف .

شميتس : « لا الصياد ح يطبخك »

(يتناهى إلى السمع مرة أخرى صوت صفارات المطافىء)

بيدرمن : أعدى القهوة يا بابيئه .

(بابيئه تخرج)

وأنت يا أنه لماذا تقفين هكذا وتحملقين ؟

(أنه تخرج)

كلام بيننا يا حضرات السادة : كفاية يعنى كفاية ، زوجتى مريضة القلب .

فلنكف عن المزاح فى موضوع الحرائق .

شميتس : إنتا لا نمزح يا سيد بيدرمين .

أيزينرينج : إننا مشعلو حرائق .

بيدريمن : يا حضرات السادة نريد الآن كلاماً جاداً غاية الجد .

شميتس : كلاماً جاداً غاية الجد .

أيزينرينج : كلاماً جاداً غاية الجد .

شميتس : لماذا لا تصدقنا ؟

أيزينرينج : إن بيتك يا سيد بيدرمين يغرى بالحريق كل الإغراء .. هذا شىء

لا بد أن تقرنا عليه : هناك خمس بؤرات للنار حول خمسة

خزانات للغاز . وإن كانت للأسف تحت الحراسة ، ثم ريح من

رياح الخماسين الشديدة .

بيدريمن : ليس هذا صحيحاً .

شميتس : يا سيد بيدرمين . إذا كنت تعتبرنا من مشعلى الحرائق فلماذا لا

نتكلم فى الموضوع بصراحة ؟

(بيدريمن ينظر نظرة إنسان منهار تماماً)

بيدريمن : أنا لا أعتبركما من مشعلى الحرائق يا حضرات السادة ، ليس

هذا صحيحاً ، هذا ظلم أنتما تظلمانى ، أنا لا أعتبرنى كما من

مشعلى الحرائق .

أيزينرينج : قل الحقيقة التى ترضى ربنا .

بيدريمن : لا ! لا ! لا ! لا !

شميتس : فماذا تعتبرنا إذن ؟

بيدرمن : من أصدقائي ..

(يرتان على كتفه ويتركانه واقفاً)

إلى أين تذهبان الآن ؟

أيزينرينج : لقد حان الوقت .

بيدرمن : أقسم لكما يا حضرات السادة ، أقسم بالله .

أيزينرينج : بالله ؟

بيدرمن : نعم .

(يرفع أصابعه ببطء ليقسم)

شميتس : إنه لا يؤمن بالرب ، وفيللي هذا لا يؤمن بالرب مثلك

تماماً يا سيد بيدرمين ، فما جدوى الأيمان مهما كانت

مغلظة ؟!

(يستمران في السير نحو الباب)

بيدرمن : فماذا أفعل حتى تصدقاني ؟

(يقف في طريقهما)

أيزينرينج : أعطنا بعض عيدان الثقاب الصغيرة .

بيدرمن : ماذا - ماذا أفعل ؟

أيزينرينج : ليس معنا عيدان ثقاب .

بيدرمن : وأنا .

أيزينرينج : نعم . إذا لم تكن تعتبرنا من مشعلى الحرائق .

بيدرمن : عيدان ثقاب صغيرة .

شميتس : كعلامة على الثقة ، على حدّ قوله .

(بيدرمين يده في جيبه)

أيزينرينج : إنه يتردد . هل رأيت كيف يتردد ؟

بيدرمن : هس ! ولكن ليس أمام زوجتى .

(بايئته تعود)

بايئته : ستأتى القهوة حالاً .

(فترة)

وأنتما مصران على الذهاب ؟

بيدرمن : هكذا - أيها الأصدقاء - إن ذلك ليحزّ فى قلبنا ، ولكن المهم

أن تكونا قد أحسستما .. أنا لا أريد أن أطيل فى الكلام أيها

الأصدقاء ، بل .. ولكن لماذا لا نرفع الكلفة بيننا ؟

بايئته : هه .

بيدرمن : أنا من رأى أن نشرب نخب رباط أخوة يجمعنا .

(يتناول زجاجة ويريمه)

أيزينرينج : قولى لزوجك الحبيب ألا يفتح لهذا الغرض زجاجة أخرى فلن

تفيد شيئاً .

(بيدرمن يفض السداة)

بيدرمن : ليس هناك شىء أستكثره عليكم أيها الأصدقاء ، ليس لدى ما

أستكثره عليكم ، وإذا كانت لديكم أية رغبة أخرى . أية رغبة ..

(يملأ الكؤوس بسرعة ويقدم إلى كل كأس)

أى صديقاي ، هيا نقرع الكؤوس .

(يتقارعون الكؤوس)

جوتليب .

(يقبل شميتس على خذه)

شميتس : يويو .

بيدرمن : جوتليب .

(يقبل أيزينرينج على خذه)

أيزينرينج : قيللى .

(يقفون ويشربون)

ولكننا لابد أن نذهب رغم كل هذا يا جوتليب .

شميتس : للأسف .

أيزينرينج : سيدتى .

(يتناهى إلى السمع صوت صفارات الحريق)

بايئه : كانت أمسية رائعة .

(أجراس الخطر تدق)

أيزينرينج : بقى شىء واحد يا جوتليب .

بيدرمن : وما هو ؟

أيزينرينج : أنت تعرفه ؟

بيدرمن : إذا كانت لديك أية رغبة فأنا .

أيزينرينج : عيدان ثقاب صغيرة .

(أنه دخلت بالقهوة)

أنه : القهوة .

بايئه : ما بالك مضطربة مذهولة إلى هذا الحد ؟

أنه : هناك - السماء - يا سيدتى - من شباك المطبخ - السماء
مشتعلة .

(عندما ينحنى شميتس وأيزينرينج ويذهبان تكون الحمرة الشديدة قد

أطبقت ، بيدرمن يقف شاحباً مذهولاً)

بيدرمن : الحمد لله أن الحريق ليس عندنا .. الحمد لله أنه ليس عندنا ..
الحمد لله ..

(يدخل الدكتور الجامعى)

ماذا تريد ؟

دكتور الفلسفة : لا أستطيع أن أستمع فى الصمت إلى أكثر من هذا الحد .

(يستخرج من جيب السترة الداخلى ورقة ويطالعها)

« الموقع أدناه ، وقد هزت أعماقه الأحداث التى تجرى حالياً ،
والتي لا يمكن ، من وجهة نظره هو أيضاً ، إلا أن توصف
بالإجرام ، يقدم هذا البيان إلى رأى العام : »

(صفارات كثيرة تعوى ، يقرأ نصاً مسهباً لا يفهم أحد منه شيئاً .

أصوات نباح الكلاب ، أجراس الخطر ، الصراخ ، صفارات الحريق

البعيدة ، طقطقة النيران القريبة ، ثم يتقدم إلى بيدرمين ويسلمه الورقة)

أنا أعلن تبرئى .

بيدرومن : ثم ماذا ؟

دكتور الفلسفة : لقد قلت ما ينبغى على أن أقوله .

(يخلع نظارته ويطويها)

افهمنى يا سيد بيدرومن ، لقد كنت أريد إصلاح الدنيا ، وأنا
رجل جاد صادق ، كنت أعرف كل ما كانوا يدبرونه فى
السندرة . إلا شيئاً واحداً لم أكن أعرفه : وهو أنهم كانوا
يصدرون عن مجرد شهوة خطيرة لا تطفئ جذوتها إلا النيران .

بيدرومن : يا سيادة الدكتور .

(الدكتور الجامعى يبتعد)

يا سيادة الدكتور ، وماذا أعمل بهذه ؟

(الدكتور الجامعى يصعد فوق حاجز المسرح وينزل إلى الصالة حيث

يجلس)

بابيٽه : يا جوتليب .
بيدرمن : هو .. راح .
بابيٽه : ماذا أعطيت الرجلين ؟ لقد رأيتك تعطيهما شيئاً . عيدان
ثقاب ؟
بيدرمن : ولم لا ؟
بابيٽه : عيدان ثقاب ؟
بيدرمن : لو أنهما كانا بالفعل من مشعلى الحرائق ، فهل تظنين أنهما
كانا بالفعل لا يحملان عيدان ثقاب ؟ يا بابيٽه ، يا حبيبتى ،
يا بابيٽه يا حبيبتى .

(الساعة الكبيرة تدق . سكون . الضوء يصطبغ بالحمرة ، وبينما يحيط
الظلام تدريجياً بالمسرح تتناهى إلى الأسماع أصوات أجراس الخطر ،
نباح الكلاب ، صفارات الحريق ، فرقة كتل خشبية منهارة ، آلات تنبيه
السيارات ، طقطقة النيران ، صرخات حتى يتقدم الكورس المشهد .)

الكورس : هناك أشياء كثيرة بغير معنى .
ولكن ليس هناك شيء تجرد من المعنى قدر هذه القصة :
التي اضطربت وتأججت
فقتلت الكثيرين ، وإن لم تقتل الجميع ،
ثم لم تغير شيئاً .
(فرقة أولى)

رئيس الكورس : كان هذا خزان غاز
(فرقة ثانية)
الكورس : وما تنبأ به كل إنسان
قبل النهاية بوقت طويل
جرى فى النهاية وتحقق :
هذا السخف
الذى لم يعد من سبيل إلى إطفائه
والذى يسمونه القضاء والقدر .
(فرقة ثالثة)

رئيس الكورس : خزان غاز آخر
(تتوالى فرقعات فظيعة)
الكورس : آه لنا ! آه لنا ! آه لنا !
(بضاء النور فى قاعة المتفرجين)

رقم الإيداع ١٩٩٦/٨٧٠١
الترقيم الدولى (I.S.B.N-977-235-627-9)

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٧٦٨١ - ١٩٩٥ - ١٠١٢

يعالج الأديب السويسري ماكس فريش في هذه المسرحية من منظور أخلاقي وسياسي طائفة من مشكلات المجتمع الحديث المحورية . فقد أتيح لهذا المجتمع من التقدم الفكري والتقني والعلمي والصناعي والتجاري الشيء الكثير ، ولكنه لم يزل يضم بين ظهرانيه نمط الإنسان الذي تخلف أخلاقيا وفكرياً عن هذا التقدم بمعناه الشامل ، وظل على أنانيته وضيق فكره يستغل أخاه الإنسان ، لا يهتم إلا أن يحقق الأرقام ، أعلى الأرقام ، في التوزيع والنجاح والثروة والقوة ، ولكن غفلته عن الأبعاد الاجتماعية والإنسانية وعن القيم تهدد كل شيء بالفناء ، وتهده هو أيضاً بالفناء ، بل تستخدمه آلة تنسف ذاته . وهذا هو بيدرم في وسط الكارثة يتعamy عن الحقيقة ويستترسل في الزيف والتزييف إلى النهاية ، إلى الهاوية ، وإذا المسرحية تنقلب من مأساة إلى ملهاة ، ومن ملهاة إلى مأساة .